13 me Année No. 608

Lundi - 26 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

ار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجـــامع اللغوية (*)

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميّل بك

قالوا إن الإنسان حيوان ناطق ، أى إنه مالك تلك القوة التى تساعده على التعبير عما يجول فى جنانه من الأفكار والمعانى . فكان من البديهى أن يحاول ، منذ نشأته الأولى ، استنباط خير الوسائل إلى أداء ما يريد التعبير عنه على أكمل وجه ، بالاشارة ثم باللسان ، أصواتاً متقطعة فألفاظاً منسقة . وكان من الطبيعى كذلك أن يتواضع مع أمثاله على أساليب للتعبير تكفل اتقان أداة التفاهم ، أى اللغة ، والوصول بها إلى الإعراب عن مختلف المعانى فى أدق مقاصدها .

ومن هنا نشأت على توالى الزمن الأندية والمجامع التى تعنى باستكمال هذه الأداة ، وهى المجامع التى أطلق عليها فيما بعد اسم « اكاديميا » .

وأصل الكلمة ، على ما هو معروف ، مشتق من اسم « اكاديموس » أحد أبطال الأغارقة . وكان « اكاديموس » هذا يملك على بعد فرسخين من أثينا روضة واسعة الأرجاء كان أفلاطون يختلف اليها فيجتمع تحت ظلال أشجارها الباسقة بتلاميذه ومريديه فيشرح لهم مذهبه الفلسفى . وبعد وفاته ظل هؤلاء يعقدون حلقاتهم للبحث والمدارسة فى هذا المكان فعرف باسم « اكاديميا » نسبة إلى صاحبه . وشاعت الكلمة بعد ذلك فى البلاد الغربية ، مع توسع فى مدلولها ، فأطلقت على المجامع والأندية الأدبية والعلمية والفنية ، بل تناولت المعاهد التى يدرس فيها بعض الفنون كأكاديمية التصوير ، أو الغناء ، أو الرقص ، حتى إن الفرنجة اشتقوا منها صفات وموصوفات وأفعالا ، وكثيراً ما استعملت الكلمة فى لغاتنا الشرقية نفسها .

وعلى هذا الأساس نشأت أكاديمية البطالمة فى الاسكندرية ، والاكاديميات العبرية ، وأكاديمية شارلمان ، وأكاديمية الفريد الكبير فى انجلترا .

أما العرب فقد قامت أسواقهم ومجالسهم — وأشهرها سوق عكاظ ونادى قريش ودار الندوة — مقام هذه الاكاديميات . فكانوا فى مجتمعاتهم هذه يتبادلون الأخبار ويتناشدون الأشعار ويبحثون فى شؤونهم العامة . وكان للغة نصيب غير قليل من هذا البحث ، كما يدل على ذلك حكاية النابغة مع الأعشى والخنساء . ثم صار بلاط الخلفاء فى الشام والعراق والأندلس ومصر أشبه شىء بهذه الندوات الأدبية والفنية ، كما هو مفصل فى كتب الأدب .

(*) نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ فى حفلة افتتاح المؤتمر لمجمع فؤاد الملكى للغة العربية .

أما انتشار هذه المجامع بمعناها الحديث فقد بدأ فى عهد النهضة أو البعث ، وبخاصة فى ايطاليا ، فقام فى كل مدينة جمعية اكاديمية أو أكثر تضم الصفوة المختارة من المفكرين والباحثين فى مختلف الفنون والعلوم .

ولم تلبث فرنسا أن حذت حذو ايطاليا فنشأت فيها مثل هذه الجمعيات وازدهرت .

وفى غضون ذلك أخذت اللغات الأوربية تتطور وتصقل بتأثير طبيعة كل إقليم وأخلاق ناسه ، وكان لهذه الأكاديميات أثر مذكور فى هذا التطور ، فتمازت لغة كل قوم بطابع خاص عرفت به ، حتى ان كارلوس الخامس المعروف باسم « شارلكان » وهو أول من فاخر بان الشمس لا تغيب عن املاكه — كان يقول :

« إنى إذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالإسبانية . وإذا خاطبت النساء متحببا خاطبتهن بالإيطالية . وإذا خاطبت جوادى زاجراً خاطبته بالألمانية . وإذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية » .

وهو يشير بقوله هذا إلى ما فى لغة الإسبانيين من الإجلال والتفخيم ، وإلى ما فى لغة الإيطاليين من الرقة والعذوبة ، وإلى ما فى لغة الألمان من العنف والشدة ، وإلى ما فى لغة الفرنسيس من الوضوح وحسن البيان .

وهل نغالى إذا قلنا إن هذا العاهل العظيم لو كان يعرف اللغة العربية لغنى بها عن غيرها فى مواقفه الأربعة ، فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب إلى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

قلنا إن الاكاديميات انتشرت فى عصر النهضة وبعده ، وتنوعت أهدافها واختلفت مقاصدها ، ولكننا اكتفينا بالاشارة اليها اشارة عابرة لنقف عند مجامع اللغة ، ونقارن بين مهمتها ومهمة مجمعنا اللغوى ما دام هذا موضوع حديثنا . ومن خلال هذه المقارنة سنرى وجوه الشبه فى الأهداف ، وفى الصعوبات المعترضة ، وكذلك فى ضروب النقد الذى يوجه إلى هذه المجامع .

وأشهر المجامع اللغوية بلا مراء « الاكاديمية الفرنسية » التى قال عنها المؤرخ الإنجليزى هالام (Hallam) إنها أشهر مؤسسة فى تاريخ الأدب ، وهى كذلك أقدم المجامع القائمة إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى أكثر من ثلثمائة سنة . ذلك أن الوزير الكبير الكردينال ريشليو نهض يعمل على نشر نفوذ فرنسا فى أوربا ، فأراد أن يدعم عن طريق نشر لغتها وثقافتها ما أحرزته من جاه وسلطان عن طريق انتصارات جيوشها .

وكان فى ذلك العهد لفيف من الأدباء يجتمعون للنظر فى منتجات القرائح وفى الموضوعات الأدبية . فخطر للوزير أن يجعل لهذه الاجتماعات صفة رسمية تعلى شأن الأدب فى الدولة وترفع مكانته فى أوربا ، فاستصدر فى شهر يناير من سنة ١٦٣٥ أمراً ملكيا بانشاء « الاكاديمية الفرنسية » ولكن السياسة عادة لا تحب الأدب ، فخشى البرلمان أن يطغى نفوذ هذه الندوة الأدبية على نفوذه وسلطانه فلم يقر إنشاءها إلا بعد سنتين

أنشأ ريشليو هذا المجمع فكان موضع عنايته . وظل اسمه مقرونا به حتى قيل إن إنشاء الاكاديمية الفرنسية كاف وحده لتخليد اسم هذا الوزير الخطير . وفى سنة ١٦٧٢ أصبح هذا المجمع فى كنف الملك لويس الرابع عشر فشمله برعايته وأغدق عليه من نعمه الشىء الكثير .

ومضت « الاكاديمية » تعمل قرابة قرن ونصف قرن إلى أن قامت الثورة الفرنسية الكبرى تحارب طبقة الأرستقراطيين أو الأشراف ، فألغت فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ « الاكاديمية » لأنها كانت تمثل أرستقراطية الفكر . ولكنها ما لبثت أن عادت بعد سنتين فأقرت وجودها . وظل هذا المجمع بين مد وجزر إلى أن أصبح منذ سنة ١٨٣٢ إحدى الهيئات الخمس التى تألف منها المعهد العام (l' institut) وهى الاكاديمية الفرنسية ، واكاديمية الفنون الجميلة ، واكاديمية النقوش والآداب ، واكاديمية العلوم ، واكاديمية العلوم الفلسفية والسياسية .

ولا بد لى من الإشارة هنا إلى أن فى اضابير وزارة المعارف عندنا مشروعا بانشاء مثل هذا المعهد العام فى مصر على أن يؤلف من خمس شعب هى : شعبة العلوم ، وشعبة الطب ، وشعبة الآداب ، وشعبة الفنون ، وشعبة العلوم السياسية والإقتصادية ، إلى جانب مجمعنا اللغوى . ولعل زميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، وقد كان له اليد الطولى فى إعداد هذا المشروع ، سيحدثنا عنه الحديث الوافى فى الوقت المناسب

عرضنا فيما تقدم موجزاً لتاريخ الاكاديمية الفرنسية وكان عدد أعضائها ولا يزال اربعين عضواً يسمون « الأربعين الخالدين » لا لأن آثار كل منهم كفيلة بتخليده ، بل لأنهم كلما مات منهم

واحد حل محله آخر . ولعل كلمة « الأبدال » العربية تؤدى مثل هذا المعنى . فقد جاء فى لسان العرب : الأبدال قوم من الصالحين (ولنفرض رجال الأدب من أهل الصلاح) أربعون فى الشام وثلاثون فى سائر البلاد لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر . وجاء فى اللسان أيضا : الأبدال الأولياء والعبّاد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .

أما أهداف الاكاديمية الفرنسية فقد حددتها المواد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من الأمر الصادر بإنشائها ، وتتلخص فى العمل على تطهير اللغة واستكمالها وتركيز قواعدها . وكان المفروض أن يحقق ذلك بتأليف المعجم لتحديد الألفاظ ، وكتاب النحو لتركيز القواعد . وعلم العروض لميزان الشعر ، وعلم البلاغة لأحكام الكلام .

وهذه الأغراض تكاد تكون وأغراض مجمعنا واحدة فقد جاء فى المادة الثانية من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ما نصه :

« أغراض المجمع هى :

(ا) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو فى تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ج) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية ، مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية »

على أن المجمع الفرنسى لم يلبث أن قصر همه على إعداد المعجم ، ثم على دراسة المنتجات الأدبية لمنح الجوائز للمتفوقين من الأدباء . ومع ذلك فان تصنيف هذا القاموس سار ببطء قد نجد فيه بعض العذر عن التأخير فى إنجاز قاموس مجمعنا . فان الطبعة الأولى منه لم تصدر إلا فى سنة ١٦٩٦ ، أى بعد ستين سنة من إنشاء الأكاديمية . ثم صدرت منه أربع طبعات فى القرن الثامن عشر ،

أما الطبعة الثامنة والأخيرة فقد صدرت منذ عشر سنوات ، أى أن الأكاديمية أصدرت ثمانى طبعات من معجمها فى ثلثمائة سنة من حياتها .

وقد رجعت إلى مقدمة هذا المعجم فوجدت وجوه الشبه كثيرة بين عملهم وعملنا . وبخاصة بين العقبات التى اعترضتهم والتى تعترضنا . ففى الطبعة الأولى التى صدرت منذ ٢٥٠ سنة قررت الأكاديمية أن تقصى من قاموسها المصطلحات العلمية والفنية إلا ما كان منها كثير الذيوع شائع الإستعمال . ولكن استعمال هذه المصطلحات ما لبث أن ذاع ذيوعا كبيراً بازدياد تذوق العلوم والفنون فى القرن الثامن عشر ، فلم ير المجمع مفراً من أن يفسح صفحات قاموسه فى طبعته الرابعة (سنة ١٧٦٢) للمصطلحات الأولية فى العلوم والفنون والمهن مما يحتاج اليه الكاتب ويجده القارىء حتى فى المصنفات التى لا تتناول هذه الموضوعات بالذات . ثم جاء فى تصدير الطبعة السابعة (سنة ١٨٧٧) ان الأكاديمية ارتضت أكثر من ألفى كلمة علمية وفنية لشدة الحاجة إليها .

ولما شرعت تعد الطبعة الأخيرة التى صدرت منذ عشر سنوات كانت الكلمات العلمية والفنية قد طغت على اللغة . فان العلوم القديمة فى عالم البخار والكهرباء والآليات قد تجددت معالمها وتعددت فروعها ، وظهرت علوم ومخترعات جديدة ، كما حدثت انقلابات كبيرة فى عالم الإقتصاد والسياسة والإجتماع مما دعا إلى استنباط عدد كبير جداً من المصطلحات ذاعت وشاعت وعم استعمالها بين جميع الطبقات بفضل المدرسة والصحافة . ولاحظت الأكاديمية أن من هذه المصطلحات ما هو ابن يومه ومصيره إلى الزوال ، ومنها ما هو مضطرب الإشتقاق ، وليد الارتجال . فلم يكن بد من التمحيص والتروى طويلا قبل إقراره ، شكلا وصيغة ، لإدماجه فى قاموس المجمع .

وبعد تخير هذه الألفاظ وصقلها وتهذيبها ، واجه المجمع صعوبة أخرى ، كالتى نواجهها فى مجمعنا اللغوى ، وهى وضع التعريف الجامع المانع ، للكلمة المختارة . فكانت الأكاديمية كثيراً ما تحتاج فى كل ذلك إلى الاستعانة بالأكاديميات الأخرى — كأكاديمية العلوم وأكاديمية الفنون وأكاديمية الطب — أو إلى

الاسترشاد بآراء الاخصائيين والخبراء فى المادة المبحوثة كما نفعل هنا

ولم تقتصر مهمة التحديد والتعريف على المصطلحات الجديدة بل امتدت إلى كثير من الكلمات القديمة التى كان تحديدها ناقصا أو غامضا أو التى تطور مدلولها مع الزمن . وعملت الأكاديمية كذلك على حذف الكلمات المماتة أو المهجورة ، فأزالتها من قاموسها ، وأحالتها إلى معجم اللغة التاريخى ، كما أحالت إلى المعجمات الخاصة أسماء الأعلام والمسميات الجغرافية وما إلى ذلك مما لايتسع له معجم اللغة .

وقد عرضت الأكاديمية الفرنسية كذلك لما نعرض له الآن من تبسيط قواعد النحو وتسهيل القراءة . وانتهى بها الأمر أن أعلنت أنها لاتدعى التشريع فى القواعد ، ولا الوصاية أو القوامة على الإملاء . بل اكتفت بما قام به أحد أعضائها فى الطبعة الرابعة من قاموسها منذ نحو قرنين من إدخال تعديل على كتابة عدد كبير من الكلمات كانت تدخل فى هجائها أحرف لافائدة منها سوى الدلالة على أصلها اللاتينى أو اليونانى . وأبى المجمع فى الطبعات التالية أن يسير إلى أبعد من ذلك ، مكتفيا بصورة الإملاء التى أقرها الاستعمال الطويل والتى طبعت بها ألوف المصنفات المنتشرة فى العالم ، ورأت أن تغيير هذه الصورة فى الكتابة يدخل البلبلة والاضطراب فى الأفكار مقابل فائدة ضئيلة لايؤبه لها .

أما نحن فلم نصل إلى هذه المرحلة التى وصلوا اليها . وقد نكون فى المرحلة التى كانوا فيها منذ قرنين فنحتاج إلى شىء من التبسيط فى القواعد وإلى بعض التعديل فى كتابة الكلمات . دون مساس بالجوهر .

ومن ينعم النظر فى تنوع الصعوبات عند إعداد القاموس الوافى يجد من التجنى على المجامع اللغوية اتهامها بالبطء فى عملها . وإذا كان المجمع الفرنسى قد سلخ ثلثمائة من السنين للتغلب على جانب من هذه الصعوبات فان لمجمعنا ، وهو لايزال فى عهد الطفولة بعد عشر سنوات فقط من إنشائه ، بعض العذر ، بل كل العذر ، فى عدم تحقيق جميع الأغراض التى أنشىء من أجلها ، لاسيما وأن الصعوبات التى واجهت غيرنا تباعا قد واجهتنا مرة واحدة مجتمعة .

أيها السادة : قلنا إن المجمع الفرنسى هو بكر المجامع اللغوية القائمة ، وعلى منواله نسجت المجامع التى أنشئت فيما بعد فى البلاد الأخرى ، لذلك نستطيع بعد أن تبسطنا فى سرد تاريخه وبيان مهمته أن نمر سراعا بسائر المجامع .

ففى سنة ١٧٠٠ أنشأ فردريك الأول مجمع العلوم فى برلين بأيماز من الفيلسوف ليبنتز ، وقد حول فردريك الثانى الكبير هذا المجمع إلى « الأكاديمية الملكية للعلوم والآداب » وكان رئيسها فى أول أمرها العالم الفرنسى موبرتوى . وظلت تقاريره تطبع بالفرنسية من سنة ١٧٤٦ إلى سنة ١٨٠٤ . وكان لهذا المجمع فيما بعد أثر كبير فى ازدهار العلم الألمانى .

وأنشئت أكاديمية مدريد فى إسبانيا سنة ١٧١٣ برعاية الملك فيليب الخامس ، فوجهت همها إلى وضع معجم وأجرومية أصبحا مرجعين بل حجتين فى اللغة فى إسبانيا والجمهوريات اللاتينية بامريكا الجنوبية .

وفى سنة ١٧٧٢ أنشئت فى بلجيكا الأكاديمية الملكية وأعيد تنظيمها فى سنة ١٨٤٥ فقسمت ثلاثة أقسام : قسم الآداب وقسم الفنون ، وقسم العلوم . وكان معظم أعضائها من الفلاسفة والمؤرخين واللغويين والقانونيين ، وقل فيها الشعراء والأدباء فرأى القوم حاجتهم إلى إنشاء أكاديمية أخرى فأنشئت الأكاديمية الملكية للغة الفرنسية وأدبها فى سنة ١٩٣٠ .

وإذا كانت الأكاديميات قد نشأت فى مدن إيطاليا منذ نحو أربعمائة سنة فان الأكاديمية الكبرى لم تنشأ فى روما إلا فى سنة ١٩٢٦ وتم تنظيمها فى سنة ١٩٢٩ واشتملت على أربع شعب العلوم الطبيعية والرياضية ، والآداب ، والعلوم الفلسفية والتاريخية والفنون .

أما الشعوب الانجلو سكسونية من انجليز وأمريكان يعنوا بالمجامع اللغوية عنايتهم بأندية البحوث التاريخية والعلمية والفلسفية ، فالأكاديمية البريطانية والجمعية الملكية أو أكاديمية لندن ليستا بالمجامع اللغوية بالمعنى الذى نقصده ، فان القوم رأوا تبسيط لغتهم ماستطاعوا ليعمموا استعمالها ، حتى اهتدوا أخيرا إلى لغة مبسطة لايزيد عدد كلماتها على ٨٥٠ كلمة من الموصوفات والصفات والأفعال والحروف التى يحتاج اليها الإنسان فى الكلام .

أما فى الشرق . فقد ألف رهط الأدباء فى العواصم العربية

جمعيات أدبية لغوية كثيرة ولكنها لم تكن لتعمر طويلا لأن الحكومات لم تكن تؤيدها ، بل كثيراً ما كانت تناهضها ، إلى أن أنشىء المجمع اللغوى فى دمشق منذ ربع قرن ، وقد أدى للغة خدمات تذكر له بالشكر .

ويسرنا أن نحيي هنا رئيسه الأستاذ محمد كرد على ووكيله الأستاذ عبد القادر المغربى ، زميلينا فى المجمع المصرى .

أيها السادة : وقفت بكم طويلا عند المجمع الفرنسى لأنه أقدم المجامع اللغوية وأشهرها ، فاسمحوا لى أن أقف بكم وقفة اخرى عند المجمع الروسى ، فهو أحدث المجامع وأكثرها اختلافا فى تأليفه وأهدافه ، ونحن اقل معرفة به منا بغيره .

كان بطرس الأكبر قد أنشأ فى بطرسبورج سنة ١٧٢٥ أكاديمية للعلوم . ثم تفرعت إلى شعب على غرار شعب الأنستيتو الفرنسى . ولكن نظام هذه الأكاديمية قد قلب رأسا على عقب فى روسيا السوفيتية ، حيث اصبحت الاكاديمية العلمية بمثابة هيئة أركان الحرب فى معسكر العلم الروسى ، وأصبح لها الشأن الأول فى نهضة البلاد . وفى سنة ١٩٤١ قبيل اشتراك روسيا فى الحرب القائمة كان هذا المجمع مؤلفا من ٧٦ معهدا و١١ معملا للاختبارات العلمية ، و٤٢ محطة للتجارب و٦ مراصد و٢٤ متحفا. ويبلغ عدد الأعضاء الآن ١٥٠ عضواً ، وعدد الأعضاء المراسلين ٢٣٠ وهناك ٤٧٠٠ إخصائى يساعدون فى الشؤون العلمية والتطبيقية ، وقد نشر المجمع فى سنة ١٩٤١ من التقارير والنشرات الدورية مايزيد على عشرة آلاف صفحة . وهذه الأكاديمية مؤلفة من ثمانى شعب ، وهى شعبة الطبيعيات والرياضيات ، وعلوم الكيمياء ، وعلم طبقات الأرض والجغرافية ، والعلوم البيولوجية والعلوم التطبيقية ، والتاريخ والفلسفة ، والاقتصاد والقانون ، والأدب واللغات . ويتبع كل شعبة عدد من المعاهد والمعامل والمتاحف .

أما شعبة الأدب واللغات فتشتمل فيما تشتمل عليه على معهد اكتسب أخيراً أهمية خاصة وهو معهد الابحاث الشرقية ورئيسه العلامة ستروف « Struve » من علماء الآثار المصرية . ومن بين أعضائه البارزين المستشرق كراشكوفسكى (Krachkovski) الذى تخصص بالأدب العربى الحديث ، وهو من أعضاء مجمع دمشق ، وقد ترجم إلى الروسية بضعة مؤلفات لكتابنا المعاصرين منها كتاب « الأيام » لزميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، كما أشرف على نشر مؤلفات ابن فضلان التى تحتوى على معلومات ثمينة عن أقدم عهود التاريخ الروسى . وفى هذا المعهد أيضا يعمل البحاثة أرنستد (Ernstedt) الإخصائى فى اللغة القبطية . وقد أعد للنشر مخطوطات بهذه اللغة على جانب من الأهمية إذ تبحث فى تطور مصر الإقتصادى فى القرون الوسطى وهى تكاد تكون فريدة فى بابها .

وفى هذا المعهد مجموعة ثمينة من المخطوطات الشرقية من عربية وقبطية وإيرانية وصينية . كما أن فيه مكتبة شرقية ضخمة تعد من أغنى مكتبات العالم . وليست الدروس الشرقية محصورة فى معهد الأدب ، فإن لها كذلك نصيبا من أعمال معهد اللغة والفكر ومعهد الأدب . وتدرس لغات الشعوب الشرقية الداخلة فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية فى معاهد أرمينيا وجورجيا والتركمان .

أيها السادة — قد يكون من الطريف ، ونحن نعرض وجوه الشبه بين مجامعهم ومجمعنا ، أن نورد بعض ماوجه إلى هذه المجامع من سهام التهكم والنقد البرىء وغير البرىء .

فهذا الشاعر الفرنسى بيرون Piron لم يتمكن من دخول الأكاديمية فارسل اليها يوصيها بان تكتب على ضريحه : (هنا يرقد بيرون وهو لم يكن شيئا حتى ولا عضوا فى الأكاديمية) وكان يقول عن الأربعين الخالدين : (هم أربعون ولكن عقولهم عقول أربعة) .

وقال فولتير ، فى أسلوبه اللاذع ، يحدد الأكاديمية : (هى هيئة يدخلها أصحاب الألقاب وكبار الموظفين ورجال الدين والقانون والأطباء والمهندسون وأحيانا رجال القلم) . وهو يشير فى قوله هذا إلى بعض أعلام الأدب الذين لم تفتح الأكاديمية لهم أبوابها من أمثال موليير وغيره . ولكن الأكاديمية عوضت موليير تمثالا نصبته بعد وفاته فى قاعة جلساتها وكتبت تحته : (لم ينقص مجده شيء ولكنه هو كان ينقص مجدنا) .

وقال أحد النقاد (هذه المجامع اللغوية إن هى إلا ملاجىء للعجزة من الذين شوهتهم حرفة القلم) .

أبو العلاء المعرى

التأويل والأثرية عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٥ —

النسل ، الزواج

والنسل أفضل ما فعلتَ بها ... فإذا سعيت له فمن عقل

إذا شئت يوماً أن تقارن حرة ... من الناس فاختر قومها ونجارها

إذا حطب الحسناء كيل وناشىء ... فإن العما فيها شفيع مشفع

ولا يُزهدنها عُدمه ، إن مُده ... لأبرك من صاع الكبير وأنفع

وما لأخي الثين قدرة سائر ... إليها ولكن عجزه ليس يُدفع

ويُخفض في كل المواضع ذمه ... وإن كان يُدنى في المحل ويُرفع

إذا ما ابن ستين ضم الكعاب ... إليه فقد حلت البهله[1]

هو الشيخ لم يرضه أهله ... ولم يُرض في فعله أهله

فلا يتزوج أخو الأربعين ... إلا عجوزاً كهله

رأى الشيب في عارضيه المسن (م) فنعم القرين له الشهله[2]

وواحدة كفتك فلا تجاوز ... إلى أخرى تجيء بمؤلمات

ولا يتأهلن شيخ مُقل ... بمُعصرة من المتعمات[3]

فإن الفقر عيب ، إن أضيفت ... إليه السن جاء بمؤلمات

إذا خطب الزهراء شيخ له غنى ... وناشىء عُدم آثرت من تعانق

إذا كانت لك امرأة عجوز ... فلا تأخذ بها أبداً كعابا

فإن كانت أقل بها وجه ... فأجدر أن تكون أقل عابا

(١) البهلة — بالفتح وبضم — اللعنة ، ومنه حديث أبي بكر: من ولي من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله .

(٢) الشهلة : الكهلة العاقلة ، العجوز ، وذلك اسمها خاصة ، وامرأة شهلة كهلة ، ولا يقال : رجل شهل كهل ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل

(٣) المعصر والمعصرة هي التي بلغت عصر شبابها وأدركت

وقال آخر (هي جمعيات هازلة يحاول اعضاؤها أن يظهروا بمظهر الجد) .

ولكن ، مهما يقولوا وينتهكموا وينتقدوا ، ما فتىء مطمح كل كاتب وكل عالم وكل باحث في البلاد الراقية الوصول إلى عضوية هذه المجامع التي يعتقد الكثيرون أن الكفاية والعقل يقدمان فيها على الثروة وشرف الأصل . وقد قال الفيلسوف رينان في ذلك : (إن صوت العلم قد يكون احيانا ضعيفا تجاه الجرأة والدجل ، ولكن هذا الصوت حتى خفت ضجيج الشارع يستمر مسموعا ولا يسمع غيره . لذلك ومهما تشتد الحملات على المجامع العلمية ستكون الغلبة دائما في النهاية لهذه المجامع لأنها الحارس الأمين على الأساليب الصحيحة ، وإذا كانت محترمة في نظر عدد قليل ، فان هذا العدد القليل هو على حق . ولا يبقى إلا الحق) .

وتعرفون حكاية (بوانكاره) وقد يكون فيها أسطع دليل على مكانة هذه المجامع . وصل هذا الرجل العبقري إلى رياسة الجمهورية وظل مع ذلك عضوا في الأكاديمية ، لا تشغله مهام الدولة عن حضور معظم جلسات المجمع ، بل كان يشترك في التصويت عند انتخاب عضو جديد . وحدث أكثر من مرة أن فاز بالانتخاب من لم يكن قد أعطاه صوته وكان يوقع بصفة كونه رئيسا للدولة مرسوم تعيين الفائز وإن لم يكن مرشحه .

وعندما زار بوانكاره انجلترا في شهر يونيو سنة ١٩١٣ وقف ملك الانجليز وهو ملك يستطيع أن يقول كما قال شارلكان إن الشمس لا تغيب عن أملاكه — وقف يرحب بضيفه رئيس الجمهورية الحليفة فقال :

« إني سعيد بأن أرى في ضيافتي رجلا ممتازا بخدمه الجليلة ، ذا شهرة بعيدة ليس في عالم السياسة فحسب ، بل ايضا في تلك الجمعية الأكاديمية التي هي منذ ثلاثة قرون موضع فخر لفرنسا تحسدها عليه اوربا جمعاء » .

أيها السادة — من الأقوال المأثورة عند الفرنجة أن لا شيء ادعى إلى الملل والسأم من الخطب الأكاديمية . وكان نصيبي من هذه الحفلة خطبة أكاديمية في أكاديمية عن الأكاديميات ، فاذا كنت قد أملت وأسأمت فأرجو عذرا .

أنطوان الجميل

وحسن الشمس فى الأيام باق وإن بَجّت من الكبر اللعابا

ومن جمع الضرات يطلب لذة فقد بات بالإضرار غير سديد

معاملة الصغار

ورفقاً بالأصاغر كى يقولوا غدونا بالجميـــل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يوقروا يُروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرُن صغاراً فى ملاعبهم فجائز أن يُروا سادات أقوام

وأكرموا الطفل عن نكر يقال له فإن يعش يُدع كيلا بعد أعوام

... وبالوالدين إحسانا

العيش ماض فأكرم والديك به والأم أولى بإكرام وإحسان
وحبها الحمل والإرضاع تدمه أمران بالفضل نالا كل إنسان

تحمّلْ عن أبيك الثقل يوما فإن الشيخ قد ضعفت قواه
أتى لك عن قضاء لم ترده وآثر أن تفوز بما حواه

حفظ الصحة

دارِ نفسك وإن بلغت سن الهرم كما يُدارى الوليد .

إفراط الشبع آفة على كل حيوان :

سَنُك خـــير لك من درة زهراء تمشى أعين الناظرين[1]
تعجبت للضارب فى غمـــرة لم يطع الناهين والآمرين
يكسر باللؤلؤ من جهـــله خُشْباً عنت عن أكمل الكاسرين

تجزأ ولا تجعل لحتفك علة بإكثار طعم ، إن ذلك لُوم[2]

لا تُربلنّ وكن رئبال مأسدة إن الرشاد ينادى البادن الرَّبِلا[3]

الشيبة

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى ولم تُصِ لى بين النجوم خباء

إن الشبيبة نار ، إن أردت بها أمراً فبادره ، إن الدهر مطفئها

(١) زهراء : بيضاء صافية .
(٢) تجزأ بالشىء قنع واكتفى به ، اكتف بجزء من أكلك . وفى طبعة الزوميات تجرأ بالراء ، ولا معنى لها .
(٣) الربالة : كثرة اللحم وهو ربيل وربل .

السفر

لو ملكت الرحيل جولت فى الآفاق (٤)

حـــتى يملـــنى التجويل

أدب السلوك[1]

الكتاب المختوم يشتمل على سر مكتوم ، فإن فضضته ولم يأذن من أمنك عليه فقد أوضعت[2] فى سبيل الخائنين

لا يعصر القوم فى مغناك غسلهم على الطعام إلى أن يرفع السور[3]
ولا يكن ذاك إلا بعد كفهم أكفهم ، ويسير الفعل مبسور
فإن تقريب خـــدام الفتى حُرضا والضيف يأكل رأى منه محسور[4]

لكل زمان ما يشاكله

أعدد لكل زمان ما يشاكله إن البراقع يُستشفى بالشُّبُم[5]
فإن ضربت بسيف الهند فى ومَدٍ فسيف إفرنجة المخبوء للشيم[6]

المرء شبه زمانه

وإن الفتى فيما أرى بزمانه لأشبه منه شيمة بأبيه[7]

الناس

والناس بالنـــاس من حاضر وبادية بعض لبعض — وإن لم يشعروا خدم —[8]

(١) قال عبد الله بن المبارك : إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته .
(٢) مشيت فى حديث « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فانما ينظر فى النار .
(٣) سور بمعنى عرس وولية « شفاء الغليل » . وفى « النهاية » فى حديث جابر أن رسول الله « ص » قال لأصحابه قوموا فقد صنع جابر سوراً أي طعاما يدعو الناس اليه ، واللفظة فارسية .
(٤) الحرض : الأشنان تغسل به الثياب والأيدى على أثر الطعام .
(٥) الشامان خيطان فى البرقع تشده المرأة بها فى قفاها .
(٦) ومد : حر . المخبوء المعد المدخر . الشيم : البرد .
(٧) فى أمالى القالى : هشام بن عروة : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وروى ابن هندو فى كتابه « الكلم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأفلاطون : لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم
(٨) الحضر — بكون الضاد — أهل الحضر ، يقال : قوم حضر وقوم سفر (شرح ديوان زهير لثعلب .

إن خالفوك ولم يجروا خلافهم
شرا فلا بأس؛ إن الناس أخياف (١)

قال الخليفة العظيم عمر :

« أعقل الناس أعذرهم للناس » .

وقال رشيد بن خليفة : « اشكر المحسن ومن لايسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص »

ومن عرف الناس وتأريخهم ووراثتهم القريبة والبعيدة (L' atavisme) ومنشأ ما يسمى (رذائل) وأسبابها عذر ولم يستعجب مما يشاهد . يقول الشيخ :

يلقاك بالماء النمير الفتى وفي ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه وشل حد السيف ما يعتقد

وهذان البيتان إن دل ظاهرهما على معايب في الناس نفيهما ماينبيء بارتقاء لهم عجيب ، فقد أمسى هذا الفتى الذئب الجشع الحاسد المحتقد سافك دم أخيه من أجل ثعلب ظفر به أو يربوع ، ومن أجل مستنقع برده أو مطيطة (٢) — قد أمسى هذا الفتى وارث تلك الغرائز يلقاك أحسن لقاء ، ويخاطبك خطابا جميلا ، وفي الضمير والمعتقد ما أبان الشيخ . فإذا طال تكلفه مايتكلفه واستمر اعتياده مايعتاده « وعادة المرء تدعى طبعه الثاني (٣) » كما يقول شيخنا حاكى بعد أدهار باطنه ظاهره ، أشبه جوانيُّه برانيه ، وحسبك منه اليوم ذاك اللقاء وذاك العطاء ، وان كان في ضمير النفس نار تقد ، وساء ما يعتقد .

... كذلك سخرناها لكم

قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) : « ... ولما انتهى أبو عيسى الوراق إلى حيث انتهت إليه أرباب المقالات طاش عقله ، ولم يتسع لحكمة إيلام الحيوان وذبحه صنف كتابا سماه (النوح على البهائم) فأقام عليها المآتم ، وناح وباح بالزندقة الصراح » ،

(١) من المجاز : هؤلاء أخياف أي مختلفون
(٢) المطيطة : الماء المختلط بالطين ، الذي يتمدد لخثورته (القاتق) .
(٣) في أمثالهم : العادة طبيعة خامسة . العادة تهدم الطبيعة .

وقال العلامة الفيومي في (المصباح) : « ... ويحرمون — يعني البراهمة — لحوم الحيوان ، ويستدلون بدليل عقلي فيقولون : حيوان بريء من الذنب والعدوان فإيلامه ظلم ، خارج عن الحكمة . وأجيب بظهور الحكمة ؛ وهو أنه استُسخر للانسان تشريفا له عليه ، وإكراما له كما استُسخر النبات للحيوان تشريفا للحيوان عليه . وأيضا فلو ترك حتى يموت حتف أنفه مع كثرة تناسله أدى إلى إمتلاء الأفنية والرحاب وغالب المواضع، فيتغير منه الهواء ، ويكثر به الفناء ، فيجوز ذبحه تحصيلا للمصلحة ، وهي تقوية بدن الإنسان ، ودفعا لهذه المفسدة العظيمة . وإذا ظهرت الحكمة انتفى القول بالظلم والعبث » .

وشيخنا المعري يقول داعيا إلى الارتفاق به :

يأكل أطايب الأعفاء ، من سمح بالرَّسل في أيام السَّفاء(١)،
ويلج الغمار بأذل السمار(٢) ، وتثني الضيقان ، على الجائد بملء الجفان .
لا يثني عليك فصيل بالأصيل . ومن اخضرت شربَته (٣) بالوادِ
اكمأتْ مربده بالتمر الجلاد (٤) . ومن ركب العامَة (٥) في طلب الصيد كانت بطون عياله قبوراً للحيتان . ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر في منزله الوشيق (٦) .

وقال (الوليد) : النبع ليس بمثمر
وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع(٧)

(١) (الاعفاء) جمع عفو وهو الجحش . (السفاء) قلة اللبن ، يقال : ناقة سفي وهي ضد الصفي ، والمعنى أن من سفي فرسه اللبن في أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها (أبو العلاء) . العفو : الجحش سمي به لأنه يعفى عن الركوب والاعمال (القاتق) .
(٢) « الغمار » جمع غمرة وهي الشدة (السمار) اللبن المذيق ، والمعنى أن من سفي فرسه سماراً وثق بجريه فولج غمار الحرب (أبو العلاء) .
(٣) اخضرت شربته أي صار عليها طحلب من كثرة الماء وادمان السقي (أبو العلاء) الشربة مثل الحويض يحفر حول النخلة والشجر ، يملأ ماء يسع ريها فتروي منه ، والجمع شرب وشربات (التاج) .
(٤) اكمأت المربد أي صار فيه تمر يوصف بالكمأة ، والعرب تصف التمر بالكمأة . والجلاد جمع جلدة ، وهي التمرة الشديدة التي لا تتوسف أي تتقشر (أبو العلاء) .
(٥) « العامة » ضرب من السفن (أبو العلاء) . وفي الأساس : وركبوا العام أي الأرمات الواحد عامة لأنها تعوم في الماء ، وفيه : وركبوا الرمث في البحر وهو الطوف : وهو من قرب منفوخ فيها .
(٦) « الوشيق » اللحم المقدد طولا ، والقطعة وشيقة (أبو العلاء) .
(٧) في « شرح سقط الزند » :
« أراد الوليد بن عبيد البحتري وذلك أنه قال في شعره : بسـ

جِلَّة ابلك وعشارها [١] . أربوت ضيفك غزارها ، وملأت جفانك وذارها [٢] ، لن تبكيك بكارها إذا السنة كثر قطارها ، وذبح فى الروضة فارها [٣] ، واعتم بالروضة بهارها [٤] . سالم إبلك شرارها .

الأثَرة L'égoïsme

إن تُرد أن تخص حراً من الناس (٥) بخير فخص نفسك قبله [٥]

إذا لم يكن لى بالشقيقة منزل فلا ظهرت عزّاؤها والشقائق [٦]

إذا كان إكرامى صديقى واجبا
فإكرام نفسى — لا محالة — أوجب

ومن أطال خلاجا فى مودته فهجره لك خير من تلافيه [٧]

إذا ولى صديقك قولٌ عنه ، فإنما يُنزل بالوادى ذى الشجر والروض العميم [٨] ، ويقدح بزند المفار [٩] ما دام وارىَ النار ،

= وهيرتى خلال العدم آونة والنبع عريان ، مافى عوده ثمر

يعنى بالنبع الشجر الذى يعمل منه القسى ، قال البحترى : « إن النبع لا ثمر له » وقد أخطأ فى قوله فان تطبيع الوحش التى تصاد من الظباء والحمر والبقر الوحشية — من ثمار النبع ، وذلك أن القسى إنما تبرى من النبع ، ويرمى بها الوحش عنها ، وتصاد بها ، فالوحش إذن من ثمر النبع ... » .

و « عريان » مصروف ، وقد ترك البحترى صرفه ضرورة .

(١) الجلة : المسان — الكبار — من الابل يكون واحداً وجمعاً ويقع على المذكر والأنثى « اللسان » . عشراء أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار ، ومثله نفساء ونفاس ، ولا ثالث لهما (المصباح) .

(٢) وذارها جمع وذرة وهى القطعة من اللحم (أبو العلاء) .

(٣) ذبح القار للمسك وهو هاهنا استعارة للروض (أبو العلاء) .

(٤) اعتم النبت إذا طال وكثر (أبو العلاء) . (البهار) : نبت طيب الريح : العرار .

(٥) روى الميدانى فى (مجمع الأمثال) هذا المثل : من لم يحسن الى نفسه لم يحسن الى غيره .

(٦) (الشقيقة) على مثال فعيلة هو يوم (تنا الحسن) وفيه قتل بسطام بن قيس فهو يوم تنا الحسن ويوم الشقيقة . والشقيقة الفرجة بين الجبلين من جبال الرمل ينبت العشب (تعليق فى نسخة مخطوطة من «اللزوميات» فى دار الكتب المصرية عمرها الله !)

(العزاء) المطر الشديد الوابل (الشقائق) سحائب تبعجت بالأمطار الغدقة ، والشقائق هو هذا الزهر الأحمر المعروف .

(٧) (خلاجا) نزاعا ، جفاءا .

(٨) كل ما اجتمع وكثر عميم والجمع عمم ، والعميم : الطويل من الرجال والنبات اللسان .

(٩) المفار شجر يتخذ منه الزناد ، المرخ والمفار شجرتان فيهما نار ليس فى غيرهما من الشجر (اللسان) وفى أمثالهم : « فى كل شجر نار واستمجد المرخ والبفار » وقد رواه الميدانى وشرحه .

فإذا خبت ناره بطل اختياره . وإذا السقاء لم يمسك الماء فهو زيادة فى مشقة السافر ، لا تاو لمفسد [١] تاو [٢] ، فإن الذيب جدير بالتذييب .

آخ فى الله الأخوان ، ولا تقل لبعيرك : إخّ فى دار الهوان [٣] .

ادفع الشر إذا جاء بشر وتواضع إنما أنت بشر [٤]

بأى لسان ذامى متجاهل علىّ ، وخفق الريح فىّ ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

إذا ما قلت نثراً أو نظما تتبع سارقو الألفاظ لفظى

كأنى إذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندى للأنام طوائل [٥]
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم
بإخفاء شمس ضوءها متكامل
وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه فلست أبالى من تغول الغوائل
فلو بان عضدى ما تأسف منكبى
ولو مات زندى ما بكته الأنامل [٦]

وكم من طالب أمدى سباقى دوين مكانىَ السبع الشدادا
ويطعن فى علاى وإن شمسى ليأنف أن يكون له نجادا
ويظهر لى مودته مقالا ويبغضنى ضميراً واعتقاداً
لى الشرف الذى يطأ الثريا مع الفضل الذى بهر العبادا
وأحسب أن قلبى لو عصانى فعاود ما وجدت له افتقادا

تعاطوا مكانى وقد فقهم فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحونى وما هجتهم كما ينبح الكلب ضوء القمر

(١) أوى له : رق ورثى له ، وأشفق عليه ، يأوى مأوى ومأواة .

(٢) تاو : هالك توى كرضى يتوى وطيء تقول توى كسعى

(٣) إخ — يقال للبعير إذا زجر ليبرك ولا فعل له ، لا يقال أخخته بل أنخته .

(٤) من أمثالهم : الشر للشر خلق ، قد يدفع الشر بمثله إذا أعياك غيره وأرسطو — كما رووا — يقول : (دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة) والقول ما قال الشيخ ، ونطق المثل

(٥) (طلت) فقت (الطوائل) الترات . الذحول .

(٦) العضد بضم الضاد وسكونها وكسرها . وهو يذكر ويؤنث .

المذاهب الأدبية

للدكتور محمد مندور

في عصر الآن اتجاه عام نحو التفكير المذهبي ، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب . وهو اتجاه يبشر بالخير ، أو على الأصح بارغبة في الخير . وذلك لأنني لم أستطع بعدُ أن أطمئن إلى أساس هذا الاتجاه . ومصدر عدم الاطمئنان هو أنني لا أكاد بعدُ أتبين وجود تفكير فلسفي يتشعب مذاهب مختلفة ، فتستند إليه مذاهبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية . ونقصد بالفلسفة وبالتفكير الفلسفي التفكير الإنساني الذي يتناول ملكات الفرد وآماله وآلامه وكافة روابطه بالحياة والمجتمع ؛ وأما ما وراء الطبيعة والجدليات والمنطقيات ، فذلك ما لن أمل تكرار القول في جدبه وعدم غنائه ، لأنها لا تعدو أن تكون رياضة عقلية .

لسنا نملك إذن حتى اليوم فلسفات إنسانية متميزة ، وهذا هو السر في أن تفكيرنا المذهبي في نواحي النشاط الفكري المختلفة لا يزال تقليداً للغرب لا يقوم على أصالة نفسية حقة . وأوضح ما تكون هذه الحقيقة في فهمنا لمعنى المذاهب الأدبية . فنحن نظنها طرقاً فنية يقصد إليها الكاتبون قصداً . فإذا بأحدهم كلاسيكي والآخر رومانتيكي . وإذا بهذا واقعي وذاك مثالي ، عقلي أو عاطفي ، اجتماعي أو فني ، وما إلى ذلك من المذاهب والاتجاهات . وهذا فهم خاطئ : فمذاهب الأدب — كما يشهد التاريخ — قد كانت دائماً حالات نفسية عامة خلقتها الحوادث ، وكيفتها الظروف . وإن لم يمنع ذلك الاتجاه العام من أن تتميز بداخله نفوس الشعراء والكتاب بسماتها الخاصة .

وفي تاريخ الأدب العربي ذاته أمثلة لتلك الحقيقة . فالشعر العاطفي ، وبخاصة الغزل ، كما ظهر في الحجاز في صدر العصر الأموي ، والشعر العقلي ، وبخاصة الهجاء ، كما ظهر في العراق في ذلك العصر أيضاً ، والشعر الفني المصنوع ، وبخاصة المدح ، كما ظهر في الشام عندئذ ، حيث كان مقر الملك ، ثم تيار الشعر الإباحي ، شعر الخمر والغزل بالمذكر ، والتكالب على اللذات ، كما عرفه العصر العباسي الأول ، والشعر الفلسفي الذي بلغ قمته عند أبي العلاء ، كل هذه الاتجاهات كانت في حقيقة أمرها حالات نفسية . وما أحب أن أعيد القول في انصراف أهل الحجاز عن الكفاح في الحياة والمناضلة عن مجد الإسلام عند ما رأوا القيادة تنتقل إلى غيرهم ، وإذا بهؤلاء الأشراف الذين رقق الإسلام قلوبهم يتغزلون عزلهم الساحر الجميل . وكلنا يذكر روح العصبية القبلية التي لم يستطع الإسلام أن يميتها في العراق ، وما كان لتلك الحالة النفسية من تأثير في تأجيج الهجاء بين القبائل والأفراد ، وقد عمرت أشعارهم بملاحاة القيم والأنساب . وأما في العصر العباسي فتأثير الحضارة الفارسية بلذاتها وأنواع بذخها المختلفة . أوضح من أن يذكر في خلق الحالة النفسية التي صدر عنها الشعر الإباحي . وفي فلسفة الهنود واليونان ، وفي ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في العصر العلائي وما سبقه بقليل ما يوضح اتجاه الشعر نحو الفلسفة بحثاً عن حقائق النفس ومصيرها ، وآلام الحياة وآمالها . وهكذا جاءت نشأة المذاهب الأدبية عند العرب ، أو على الأصح ، الاتجاهات الأدبية في شعرهم وليدة لحالات نفسية طبيعية لم تصطنع ، ولا قصد إليها ، فهي تقوم على أسس نفسية إنسانية لم يكن منها مفر ، ولا إلى غيرها معدل . وإن لم يمنع ذلك — كما قلنا — كل شاعر من أن يتميز من غيره بأصالته الخاصة .

والأمر في الأدب الغربي مثله في الأدب العربي ، وإن تكن الحقائق هناك أوضح ، لأن الأدب الغربي هو الذي عرف — وبخاصة ابتداء من عصر النهضة — المذاهب الأدبية بمعناها الفلسفي الصحيح . وقد صاحب ظهورها وعي نظري بها ومناقشة لأصولها ، وتوضيح لمعالمها وقتال دونها : وتلك ظواهر لم تكد تتضح في تاريخ الأدب العربي ، اللهم إلا أن يكون ذلك في معركة كبيرة واحدة يحدثنا عنها التاريخ الأدبي ، وهي تلك التي قامت بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام ، إذ ناضل الأولون عن عمود الشعر والصياغة التقليدية الرسلة ، وكافح الآخرون عن مذهب البديع والتجديد في الصياغة . ومع ذلك فتلك معركة لم تمس حالات النفس في شيء ، لأن مدارها كان التباين في أسلوب التعبير . وأما موضوعاته فقد ظلت تقليدية حتى قال أحد النقاد : إن

التجديد عندئذ لم يعدُ التطريز على ثوب خلق ؛ وقال مستشرق : إنه كان رقصا فى السلاسل .

وعلى العكس من ذلك مدلولات المذاهب الأدبية فى الغرب ، فهنا نجد الحالات النفسية بأوسع معانى اللفظ . فالكلاسيكية التى ظهرت فى القرن السابع عشر فى فرنسا بنوع خاص ليست إلا نظاما عقلياً خاصاً فى تناول حقائق النفس البشرية وصياغتها . وأساسها العام هو تنحية الكاتب لشخصه عما يكتب ، وتسليطه ضوء العقل على مايريد عرضه . ولهذا كان مظهرها هو الشعر التمثيلى . وأما الشعر الغنائى الشخصى فذلك نوع لم يزدهر إلا فى القرن التاسع عشر تحت جناح الرومانتيكية ، والكلاسيكية قسط واعتدال فلا إسراف فى إحساس ولا مبالغة فى عبارة ولا تصنع فى أداء ولا شذوذ فى أسلوب . وهى نتاج عقلى يخضع لأصول مرعية ويسير على مبادئ مقررة، وهى أصول ومبادئ دوّنها لها النقاد فقالوا فى المسرح بالوحدات الثلاث ونادوا بفصل الأنواع فلا تجاور الفصولَ المحزنة فصول مضحكة فى المسرحية الواحدة ولا يختلط نوع بنوع .

وجاءت الثورة الفرنسية فشتتت أفراداً وفجرت آمالا ، وهاجر من هاجر وأقام من أقام وتجددت بفضلها مشاعر البشر . وأمعن الناس فى مصائرهم . وولت الثورة نابليون الذى ملأ الدنيا وشغل الناس ، حتى أثار فى نفوس الشبيبة أنواعا لا تحصى من الطموح وقد أصبح مثلهم المحتذى . ومنذ الأزل كان لشهوة المجد سحرها العجيب . وتنكر القضاء لنابليون فانهار مجده وتحطمت بانهياره النفوس ، فاذا بمرض اجتماعى ينتشر بين الناشئين هو المعروف « بمرض العصر » وما هو فى الحقيقة إلا إحساس الفرد بعجزه عن الملاءمة بين قدرته وآماله ، وبين شخصه ومجتمعه ، وبين واقعه ومثله الأعلى ، وتلك حالة نفسية تنشأ دائما عند ما تجد أحداث أو تنهار شخصيات تدعو إلى أن يدب اليأس فى الطموح . ولا أدل على صدق هذه الحقيقة من أن تجد الرومانتيكية التى ظهرت عندئذ ، عامرة بالشكوى من الحياة ، والإحساس إحساسا عميقا بجمال الأطلال ثم بصمت الطبيعة . ولكم يروعك عندئذ أن تستمع إلى شاتوبريان أحد أجداد الرومانتيكية الأوائل يفاضل بين الديانة اليونانية القديمة والديانة المسيحية ، ويؤثر الأخيرة لأنها قد طردت من الطبيعة ما ملأها به الإغريق من ربات وحوريات وآلهة ، لترد إليها ذلك الصمت الخالد الذى يستر فيه الإنسان على الله عند مايعثر على نفسه . وهذه حالة تتطلع إليها النفس عندما تستشعر الحاجة إلى الاستجمام وترتد عن صخب الحياة وحركتها الدائمة وأهدافها الترامية مؤثرة التأمل الباطنى على رقص الحوريات وأعياد الحياة . وعن هذه الحالة النفسية العامة صدرت الرومانتيكية التى تغلب عليها العاطفة والغناء الشخصى بالآلام والآمال غناء لا يخضع لقاعدة ولا يتقيد بأصل وهو أقرب إلى التشاؤم وشكوى الحياة منه إلى الرضى واطمئنان المصير .

وأفاقت النفوس من صدمتها . وتقدمت الأبحاث العلمية ونما الإنتاج المادى وأخذ المفكرون يكشفون عن الحقائق النفسية العميقة فاذا بالأدب يتجه نحو الإمعان فى الواقع . ولما كان ذلك الواقع أمراً مما يتخيل الشعراء وأميل إلى الدكنة فقد تولدت حالة نفسية جديدة هى الواقعية ، التى تسيء الظن بالبشر وترى خلف دوافعه البراقة ظلاما كثيفا . وعلى إضاءة هذا الظلام توفر جهدها، فالكرم قد يكون مباهاة خاوية ، والمجد قد يخفى طموحا شخصيا بل والعبقرية ذاتها قد تختلط بالتهريج الرخيص ، على نحو ما تجد فى الكثير من روايات بلزاك . ولم يكن هذا الاتجاه قاصراً على الأدب بل امتد إلى النحت والتصوير والموسيقى وغيرها من أنواع النشاط الروحى . لقد كانت الواقعية كما كانت الكلاسيكية والرومانتيكية حالة نفسية سائدة وتلك هى الحقيقة العامة التى أريد أن نتدبرها عند ما نأخذ فى الحديث عن ظهور مذاهب أدبية بيننا ، فاذا لم تجد الحالة النفسية التى تستند إلى فلسفة إنسانية عميقة كنت فى حل من أن تصف ما ترى بأنه لا يزال فى دور المحاكاة .

محمد مندور

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل العطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم خمسة مارس سنة ١٩٤٥ عن توريد زجاج نصف دبل وانجليزى لمصلحة الأشغال العسكرية — والشروط بإدارة المشتريات والعقود بالوزارة وثمن النسخة منها ٢٥٠ مليما . ٣١٨٥

المسألة الأفعوانية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

هلمي يا ذات الخطر والجلالة ! إلى قلمي . . كما يقبل الثعبان العظيم زاحف الرأس إلى ساحر ليحطم نابه ويطهر لعابه !

هلمي يا بوق الشيطان ينفخ فيه على القلوب فتكون كالمخالي والخزائن والجيوب ، تختزن الأجسام ذات الحجم والكثافة والثقل .. وتمتلىء بالحطام وهي مهبط الأسرار ومجلى الأنوار ..!

هلمي يا دين البشرية الوثنية وقبلة قلبها ، وكعبة طوافها وسعيها .! هلمي يا أم الدينار ! ذي الغُرَّة والطُرَّة ، والبريق والرنين ، والثقل الخفيف والروح اللطيف الذي يسري به الشيطان إلى الأقداس المغلقة في الضمائر فيفتح به مكان الطهر ويحيله إلى نجس وعهر .!

هلمي يا روح العجل الذهبي الذي يتشكل ويتجسد ويتقمص جسم كل شيء فيتراءى به ويتخايل في صور شتى تذهل العيون عن الحق والشرف والإيمان !

إلى قلمي أيتها الأفعى ذات الرءوس والقرون والألسنة والذيول التي لا عدد لها لأنها أم العدد والحساب !

هلمي أيتها « المسألة الإقتصادية » ! يا وكر الجرائم الفردية والإجتماعية والسياسية !

الرباطات الثلاثة

إننا نشعر برباطات ثلاثة تضغط على قلوبنا وتشد عليها وتربطنا بثلاث غايات نظمى هي : « الحياة وما وراء الحياة » و « المال » فالذي يربطنا « بالحياة » هو « الحب » ونتيجته الاندماج في « الزواج » والامتداد في « النسل » تعزية وتعويضاً عن « خلود الذات » وهي الأمل الأكبر الذي لم يتحقق ، والذي يربطنا بما وراء الحياة هو « الدين » ونتيجته التعرف إلى الله باريء الوجود ومفيض الحياة ..

والذي يربطنا بالمجتمع هو « المال » إرضاء لجملة غرائز حادة وشهوات عنيفة تظهر في الأنانية والأثرة والخيلاء وحب التسلط والمباهاة والافتراس وحب الاقتناء والحيازة والتملك وحب « إثبات الذات » مقرونة بغيرها في مجموع .. والرباطان الأول والثاني لكل منهما منطقة تتصل بالجانب الأعلى من الإنسان وتثير في قلبه أشواقا فيها سمو وفيها رفق ووداعة وحنان ونسيان « للذاتية » و« الأنانية » فلذلك تحيا بهما النفس سعيدة منعمة ، منتفعة نافعة .

أما الرباط الثالث فلا يتصل إلا بمنطقة العواصف والزعازع من النفس ، إذ هي مجال الاحتكاك والمنافسة والسباق والصراع بين ذوات مختلفة متفاوتة القوى والمواهب .. وقد سبق الشر من هذه المنطقة إلى الحياة وأفسدها ، ولذلك كانت محل العناية والتنظيم والتهذيب ، ومحوراً عظيما لشرائع الأرض والسماء ، ومثار الحروب قديمها والحديث .

وبدون تسوية « المسألة الإقتصادية » ، في العالم وحل « مشكلة العيش » وتوزيع الموارد الإقتصادية في الأمة الواحدة وفي الأمم المتعددة في عدالة وإنصاف وتجرد عن الأنانية الشخصية والقومية لا يمكن الإطمئنان إلى مستقبل سعيد للانسانية

وربما كانت كبرى جرائم الحياة هي جرائم الغنى ومفاسد البطر والترف والطغيان نتيجة لغرور المال . نعم إن للفقر جرائم كبرى أيضاً ، ولكنها جرائم ومفاسد هي في الواقع عقوبة « ورد فعل » على جرائم الغنى وعدم التوازن الإقتصادي في المجموع .

ولذلك كان من أول الواجب على رجال الروح والفكر أن يجعلوا المسألة الإقتصادية وتنظيمها واعتبار أسسها العادلة محل عنايتهم الفائقة كما يعنون بالمسائل النظرية في اللاهوت والفلسفات والآداب ، وأن تكون لهم رقابة ساهرة وجهاد دائم في التدبير والتنظيم الإقتصادي حتى يضمنوا لكل فرد أن ينال حق العيشة بالجسد كما ينال حق الحياة بالروح ، وحتى يكفلوا لمثلهم العليا أن تحيا وتتجسد في أشخاص بدل أن تظل طول الحياة ميتة مدفونة في بطون الكتب .

ثم يكون واجبهم الأكبر أن يمنعوا التكالب عليها والتطاغى فى رحابها وأن يحملوا المجتمع على السعى إليها فى هوادة ورفق وشرف

الحدود فى الاقتناء والتوريث

وإن ما تطلبه غرائز التملك وشهوة المال لا يمكن أن يقف عند حد ينتهى إليه . وعلى هذا فواجب أن يدرك الإنسان ذلك ويحد من آماله ومطامعه بما يوافق مصالحه ومصالح الآخرين وإلا انقلب كذلك الثعلب الذي ظل يأكل من فريسة حتى امتلأ وعجز عن النهوض والجرى فاقتنصه الصائد ..

ومع عدم شعور الجد والأب بحب الحفدة والأبناء له بل مع عدم وجودهم فى حياته ... نجد الأجداد والآباء ينالون فى الاقتناء والإثراء بدون حد للمطامع ، وبدون التفكير فى أن ما زاد على الكماليات فى متوسط عمر الإنسان إنما هو حمل ناهظ للنفس يرهقها ويكأدها

فينبغى أن يحد الثرى ثروته بحيث تكفى ابنه المباشر وحده . أما الحفدة والأسباط فيجب إهمال التفكير فى توريثهم وعدم تضحية المجتمع والمروءة مع الناس من أجلهم وهم فى عالم الغيب..

الأسرة تنسع

ولماذا يلزم الإنسان أن يعول أهله الأدنين وذريته الضعاف ولا يلزم باعالة إخوته فى الوطن من العجزة المحتاجين وهم أسرته أيضا بالمعنى الواسع ؟ لا بد من إقامة مسائل الاقتصاد والإحسان على هذا المعنى العميق الكريم لا على التبرع والتفضل والإختيار ...

خطر العقليات المادية

لقد كثرت العقليات المادية الغالية التى تحاول أن تفسر الحياة دائما تفسيراً ماديا آليا .. مغفلة ذلك المعنى الإنسانى العظيم الذى يتصل بالحق ومعانى المروءة والإيثار والنبل، ولا يكون المرء انسانا إلا بسيطرة ذلك المعنى على فكره وروحه .. هذه العقلية أعظم نماذجها هم اليهود . وقد انتقلت فلسفتهم المادية فى غلوها إلى جميع الأمم . فهم ليسوا الآن ممثليها وحدهم ..

نعم إن للمادة آثاراً كبرى فى الحياة الإنسانية ، ولكنها يجب ألا تكون المحور الوحيد لسياستها العليا كما هى الحال الآن ...

عبد المنعم خلاف

الوزراء والكتاب

تأليف

ابن عبدوس الجهشياوي

بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين

وزراء الإسلام وكتابه منذ بدء العصر الإسلامى حتى عصر المأمون وسياستهم وسيرهم يجلوها ذلك الكتاب فى بيان سهل ونقص دقيق .

الثمن ٧٠ قرشا عدا أجرة البريد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

شارع الشيخ محمد عبده رقم ١٢ بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ — ص . ب الغورية رقم ٧١

أكبر المكاتب العربية وأشهرها

بها أعظم استعداد لنشر المؤلفات الحديثة والكتب القديمة .....

في المحكمة الشرعية

صور جاهلية

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

رجل كهل معمم، له لحية وفي يده سبحة، دخل المحكمة ودخل وراءه مريدون له، ذوو عمائم، يتبعونه متخشعين ويلحظونه مكبرين، فوقف موقف المدعى عليه، وجلسوا من خلفه في مجالس المستمعين، وكان المدعي شيخا هما ترعش يداه، وتضطرب رجلاه، ويزيغ بصره، ويتلعثم اذا تكلم لسانه ويفيض لعابه، وكانت دعواه أن هذا الكهل ابنه، وأن زوجته وهي أم المدعى عليه قد ماتت منذ شهرين، وهذا الولد قد وضع يده على تركتها كلها، فلا هو يعطيه حقه فيها فعل الرجل الشريف، ولا هو ينفق عليه انفاق الولد البار، فهو يعذب ... فسئل المدعى عليه ذو اللحية والسبحة، فقال: ان المدعي أبي ولكن له مالا فلا تجب عليّ نفقته، وأمي مطلقة منه فلا نصيب له في ارثها. فلما سمع الشيخ ذلك بكى بكاء محروق الفؤاد، واستنزل على ابنه غضب الله. اذ يعظ الناس ويأمرهم ببر الوالدين، ويسوق في ذلك الآيات والأخبار والرقائق، ثم يأبى الا أن يجمع على نفسه بين عقوق أبيه حيا، وأمه ميتة، ويضم الى ذلك كذبا وافتراء، ولا يرعى حق الأبوة، ولا يرأف بضعف الشيخوخة، ويصم أمه بوصمة الطلاق، وهي تشينها ان كانت حقا فكيف اذا كانت باطلا، وينسى الدين والمروءة، كل ذلك من أجل شيء من المال ماله به من حاجة، وما هو الى مثله فقير، ولكنه الطمع وحب الدنيا التي يزهد فيها، وقلة الأمانة التي يدعو اليها.

ونصحت المحكمة هذا (الواعظ ...) فما انتصح، وذكرته فما ادكر، ثم كانت النهاية أن خرج فاتراً بدنياه رابحا دعواه، يتبعه مريدوه وتلاميذه مكبرين موقرين، وخلف أباه الشيخ الراعش، يتلمس يداً تسنده ليخرج من المحكمة وفي عينيه الدموع وعلى لسانه اللعنات، وفي قلبه الحسرات ...

— ٢ —

امرأة عجيبة مستورة، على صدرها ولد، وفي بطنها ولد، تدعي على رجل أنه زوجها وأبو أولادها وأنه طردها من داره، ولم ينفق عليها، ولم يكلها الى منفق، والرجل من هؤلاء (الزكرت) الذين يسمون في مصر (الفتوات) حليق الخدين، مفتول الشاربين، عابس باسر، طويل الطربوش أسوده مائله، منتصب القامة، مرفوع الهامة، كأنه مقبل على صراع. فسألته المحكمة عما يقوله فقال، وقد صعر خده، وشمخ بأنفه: لست أعرف هذه المرأة! ... قالت المرأة: لست تعرفني يا أبا فلان؟ أهذه هي مروءتك وشهامتك؟ تنكر زوجتك، وتجحد ولدك، وأنت ترى طفلي وحملي، وتبيع عرضك وشرفك بعشرين فرنكا في اليوم تريد أن توفرها على نفسك، فتهدم بيدك بيتك. وتكتب بقلمك صفحة عار أهلك، وفضيحة أولادك.

قال: اسكتي يا امرأة، اني لا أعرفك، فسألتها المحكمة: ألم يسجل هذا الزواج في دفاتر المحكمة وسجلات النفوس؟ قالت: لا ياسيدي؛ انه أبى أن يسجله، وتركه مكتوما لكي يضيعني. وانطلقت تنشج.

وأصر الرجل على الانكار، وأعيت المرأة الوسائل، وكادت المسكينة تغلب على حقها؛ واذا بطفل في الخامسة يلج قاعة المحكمة فيأخذ بيد أمه المدعية، ثم يرى الرجل، فيقبل عليه، ولكن الرجل يعرض عنه ويتجاهله، فيبكي ويصرخ: «ليش يا بابا، شو عملت لك يا بابا ...»

... ويعترف الخبيث ولولا ذلك ما اعترف!

— ٣ —

امرأة قروية برزة ذات جمال ادعت على زوجها الطلاق. فأنكر فكلفتها المحكمة بيان زمان الطلاق ومكانه — فقالت: إنه وقع في دار زوجي. قال المدعى عليه: في داري؟! قالت: لا، بل في دار الآخر. وتنبه القاضي والمستمعون، وسألها: ماذا قلت ويحك؟ قالت: زوجي الآخر. قال القاضي. وما الآخر؟ قالت: انه تركني وأهملني ورماني فتزوجت غيره. قال الرجل: لقد كذبت، لم أهملها ولكنها أحبته وهربت اليه. قال القاضي: وماذا صنعت أنت؟ قال: وماذا أصنع، أنه عسكري وانى أخلفه.

القضايا الكبرى فى الاسلام

قضية التجسس لقريش

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه قضية لها قيمتها فى أحداثنا الحاضرة ، ولو كنا نرجع فى حاضرنا إلى ماضينا ، لكان لنا منه أكبر العظات ، وأعظم العبر ، ولكنا قطعنا صلتنا بماضينا ، وأخذنا نتخبط فى حاضرنا ، وننظر فيه إلى من لا صلة بيننا وبينهم ، ولا يتفق أمرنا وأمرهم ، فتقطعت بيننا الأسباب ، واستفحل بيننا الخلاف ، ونكب المسلمون فى زعمائهم وقادتهم ، وصاروا ينظرون إلى من يأخذ بيدهم فيرتد الطرف إليهم وهو حسير

فى السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش عهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، فتجهز النبى للسفر ، ولم يعلن أصحابه بما يريد من غزو قريش إلا أبا بكر رضى الله عنه ، ثم استنفر الأعراب الذين حول المدينة ، وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وقد طوى ما يريد عن الجيش ، لئلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب ، وهو لا يريد أن يقيم حربا بمكة ، بل يريد أن يباغت أهلها فيضطرهم إلى التسليم من غير حرب ، وقد دعا الله تعالى فقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . وفى رواية أخرى : اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا إلا فلتة . ثم أمر بالطرق فحبست ، وأقام جماعة بالأنقاب يراقبون من يمر بها ، وكان عمر رضى الله عنه يطوف على الأنقاب فيقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة ، فإنه يتحفظ منه ويسأل عنه

وقد أمكن حاطب بن أبى بلتعة مع ذلك التكتم الشديد أن يعرف قصد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لخمى نزل مكة وحالف بنى أسد بن عبد العزى ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا

قال : ومن عقد هذا العقد ؟ قال : شيخ البلد وهو هنا .

وأمر القاضى بشيخ البلد فدعى . فحضر شيخ لحيته الى سرته ، له هيبة وشيبة ووقار . فسأله — فقال : نعم أنا زوجت هذه المرأة بفلان العسكرى . انها ذهبت اليه وساكنته خفت عليهما المعصية ! ! فزوجته بها الزواج الشرعى على كتاب الله ، وسنة رسول الله !

قال القاضى وزوجها الأول ؟ قال : نصحناه أن يطلقها فأبى . فهو المسىء الى نفسه . وما أكرهها بل زوجتها برضائها وموافقة أبيها . ولقد أنجبت منه أولاداً هم زينة البلد ، لا كأولادها من هذا الجاهل الذى لا يقيم الصلاة ...

قال أبوها وقد أحضر وسئل : نعم ، لقد رضيت بما رضى به شيخنا وعالمنا حفظه الله ، وأطال عمره ...

— ٤ —

فتاة (على الطراز الحديث ...) سافرة الوجه ، غضة الأهاب ، قصيرة الجلباب ، تحاول كلما تحركت أن تبدى ماخفى من زينتها ومن فتنها ، وقفت موقف المدعى . وكان المدعى عليه رجلا عليه سيما الصلاح ، وكان أباها ، فلما تكلمت تكلم معها حاجباها وشفتاها ، ورقص فى صدرها نهداها ، فأمرها القاضى بالأدب . لما رأى من تبذلها واستهتارها ، وأن تاتى (منديلها) على وجهها ، وأن تجد وتوجز فى كلامها ، وتسكن من جوارحها ، وأن تستشعر حرمة المكان ، وجلال المجلس ، وإلا حبسها بذنب (الإخلال باحترام المحكمة) . فأطاعت ما استطاعت

وكانت دعواها أنها ابنة المدعى عليه ، وأنها لا تنكر أن داره رحبة ، والمال فيها وفير ، والعيش هنىء ، وأنه ليس فى الدار الا أبوها وأمها ، وأنها لا تشكو شيئاً من جوع أو عرى ، ولكنها تشكو عدوان أبيها على حريتها ، فهو من (الطراز القديم) رجعى جامد ، لا يؤمن بالنهضة النسائية ... فهو لا يفتأ يسألها كلما خرجت ، لماذا خرجت ، وإن سهرت ليلة ، قال لها : أين كنت ، وإن سايرت شابا (مهذبا) أو زارته سبها وشتمها . فهى لم تعد تحتمل منه ذلك ، وتطلب فرض نفقة لها عليه لتعيش فى غير داره ...

... ولا أريد ان أكمل الصورة حسب القراء هذا الجانب منها ... وتأويله عند صاحبات (المؤتمر) !

دمشق

على الطنطاوى

والحديبية ، وكان له بمكة بنون وإخوة ، فخاف عليهم من قريش فى ذلك الغزو ، وأراد أن يتقرب إليهم بإخبارهم بقصد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يتعرضوا إلى بنيه وإخوته بسوء ، فكتب إليهم كتابا يخبرهم بذلك ، ثم استأجر امرأة بدينار وقيل بعشرة دنانير وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق فان عليه حرساً

والروايات مختلفة فى نص هذا الكتاب ، فقيل إنه كان فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد

وقيل إنه كان فيه : أما بعد يا معشر قريش ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فو الله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم ، والسلام

وقيل إنه كان فيه : إن محمداً قد نفر ، فاما إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر

فأطلع الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم على مافعله حاطب ، فقال لعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فان لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها

فانطلق الثلاثة تعادى بهم خيلهم حتى أتوا روضة خاخ ، فاذا هم بالظعينة تسير على بعير لها ، فقالوا لها : أخرجى الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فأناخوها والتمسوا ذلك الكتاب فلم يجدوه ، فقالوا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا لها : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب . وفى رواية أن علياً قال لها : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض فحلت قرونها فأخرجته من عقاصها ، وهو الخيط الذى تعتقص به أطراف الذوائب ، أو الشعر المضفور ، أولُّ الشعر بعضه على بعض على الرأس ، وإدخال أطرافه فى أصوله ، أو السير الذى يجمع به الشعر على الرأس وفى رواية البخارى . فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته . والحجزة معقد الإزار ، والظاهر أن الكتاب كان فى ضفائرها ، وأنها جعلت الضفائر فى حجزتها .

فأخذوا الكتاب منها ورجعوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال له : ياحاطب ماحملك على ماصنعت . فقال : يارسول الله لاتعجل علىّ ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ماضى حاطب وجهاده فى إعلاء شأن الإسلام ، وإلى موقفه فى غزوة بدر ، وما كان لها من عظيم الشأن فى إظهار الدين ، وفى قصة الحديبية ومبايعته فيها على الموت تحت شجرة الرضوان ، وقد قال الله تعالى فى شأن من بايعه تحتها فى الآية — ١٨ — من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كله من حسنات حاطب ، ثم نظر إلى تلك السيئة التى ارتكبها ، وهى تعدى عرف الشرائع الوضعية الخيانة العظمى للدولة ، والعقوبة التى تستحقها هذه الخيانة هى عقوبة القتل ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن تنتهى حياة ذلك المجاهد بذلك الشكل القبيح ، ولم يشأ أن يضيع له جهاده الطويل فى الإسلام بفلتة من فلتات النفس ، وغواية من كيد الشيطان ، فرأى أن يستعمل فيها حقه فى العفو ، لأن الرئيس الأعظم على المسلمين ، له حق العفو عن مذنبهم إذا كان فيه مصلحة من المصالح ، ولكنه نظر قبل ذلك إلى من كان بالمجلس من أصحابه فقال لهم : إنه قد صدقكم ، ولا تقولوا له إلا خيراً . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل

بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

وقد عنا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا عن حاطب رضى الله عنه ، بعد أن بين به أن عقوبة الجاسوس القتل ، لأنه أرشد إلى أن علة تركه أمر عمر بقتله هى شهوده بدرا ، فدل على أن من فعل فعله ولم يكن بدريا يستحق القتل ، ثم نزل بعدهذا فيما فعله حاطب قوله تعالى فى الآيات الأولى من سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) إلى آخر القصة .

وفى هذه الآيات معاتبات رقيقة لذلك المجاهد الكريم بعد ذلك الصفح الجميل ، وعظات كريمة أطلقت إطلاقا ، ولم توجه إليه بخصوصه ، حتى لايكون فى ذلك ما يشم منه رائحة تشنيع ، ولا يكون فيه تصريح بتلك الخيانة ، ولا يشوب جهاده منها شائبة تشوبه ، ويمضى العفو عن ذنبه خالصاً يمحو كل أثر للذنب ، ولا يبقى أية حفيظة عليه فى نفوس المجنى عليهم .

ولم يكن كل هذا إلا لأن حاطبا كان من المجاهدين الأولين فى الإسلام ، وللمجاهدين الأولين فى كل دعوة شأنهم فى نفوس من يأتى بعدهم ، فاذا روعى لهم جهادهم إلى آخر حياتهم ، وأحيطوا بجانب من القداسة يعلى شأن جهادهم ، وينسى معه بعض مايحصل من زلاتهم بحسن قصد ، ومن غير تنكر للدعوة التى جاهدوا فى سبيلها — إذا روعى لهم كل هذا كان مدعاة لأخذ الخلف بسنة السلف فى الجهاد ، حتى ينالوا مثل قداستهم فى نظر من يأتى بعدهم ، ودعا أيضا إلى تكوين القدوة الصالحة اللازمة فى تاريخ كل أمة من الأمم ، وهى الماضى المجيد الذى يقوم على أساسه بناء المستقبل ، وهذه هى الحكمة الجليلة فى ذلك القول الذى ورد عن أهل بدر — اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى بعض الروايات فانى غافر لكم ، وهذا يدل على أن المراد بقوله غفرت فى الرواية الأولى أنه سيغفر لهم فى المستقبل مايقع منهم ، وقد عبر عنه بالماضى مبالغة فى تحققه ، ولو كان المراد منه الماضى حقيقة لما صح أن يخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه ، لأنه ينكر به عليه ماقاله فى أمر حاطب ، ولا يكون فيه إنكار عليه إلا إذا كان الغفران لما يكون من ذنوبهم بعد بدر ، على أنه لايراد من هذا إباحة فعل الذنوب لهم ، وإنما هو خطاب تكريم وتشريف ، ولا يراد منه إلا أنهم حصلت لهم بتلك الغزوة حالة من القداسة ، غفر معها ماسلف من ذنوبهم ، وتأهلوا الآن يغفر لهم مايحصل من الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم وقد خصهم الله تعالى بذلك تكريما لجهادهم ، وإعلانا عن عظيم حبه لهم ، وما أحسن ماقيل فى هذا الشأن :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وموضع العظة لنا من هذه القضية أنه كان لنا جهاد سابق جمع كلمة الأمة ، وأيقظها من رقدتها ، وسار بها فى طريق الإصلاح والنهوض ، فجنت من ثمار الجهاد ماجنت ، وقطعت شوطا بعيداً فى طريق الإصلاح ثم تنكرنا لذلك الجهاد ، وأخذنا نجرح الذين قاموا به ، ونرميهم بكل قبيح ، ونكيل لهم التهم جزافا وتنكر أولئك المجاهدون بعضهم لبعض ، فضعفت ثقة الأمة فيهم ، وضاعت القدوة الصالحة التى تكون محل الثقة والقداسة ، وعاد كل شخص إلى سيرته الأولى قبل ذلك الجهاد ، لا يهمه إلا أمر نفسه ، ولا يسعى إلا فى سبيل مصلحته.

فهل لنا أن نعود إلى ماضينا فنتعظ بموضع العظة منه ، وننظر إلى المجاهدين فينا كما كان ينظر سلفنا إلى المجاهدين فيهم ، ولا تتنكر لجهادهم كما تتنكر الآن ، فنحاسبهم على الهفوة بأشد مايكون من القسوة ، ونسلك فى حسابهم سبيل التشنيع والتشهير ، وهم لم يصلوا فى هفوتهم إلى تلك الخيانة العظمى التى ارتكبت فى تلك القضية .

وهل لأولئك المجاهدين أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى ، فيمد بعضهم يده إلى الآخر ، ويعرف له فضل جهاده الأول ، ذلك الجهاد الذى كان فينا مثل جهاد أهل بدر ؟

عبد المتعال الصعيدى

الفـــن

للكاتب الفرنسي بول هيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

تمهيد المترجم

في شهر مارس من عام ١٩٢٥ أسعدني الحظ بالوقوف بباريس مدينة الفن والجمال والنور لأيام قلائل جعلت هي خلالها ارتياد المتاحف والدور والمعارض التي تزخر بأشتات الفنون ، التالد منها والطريف . وكنت أنتهب بعيني وقلبي تلك الروائع الفريدة ، وأحاول جهدي استيعابها واستذكار ما دق من محاسنها ومفاتنها ولكن هيهات !

وكان من بين ما راعني وملك علي لبي ومشاعري أعمال المثال العظيم رودان[1]، ثم غادرت مهد الفن والجمال آسفاً ، ولم أنقع صدى نفسي الهيمانة من نمير ذلك المنهل الصافي العذب . غادرته وبالحلق غصة ، وبالقلب لوعة ، إلى بلاد الثروة والمال والجاه — إلى أمريكا العظيمة . واستقر بي المقام بولاية كاليفورنيا ، قبالة مدينة سان فرنسسكو — عروس المحيط الهادي ، حيث انصرفت إلى الدرس والتحصيل — تحصيل العلم والفن . غير أن شواغل الدرس لم تكن لتصرفني عن التحليق بروحي من آن لآخر في سماء باريس وفي ردهات متاحف باريس لعلي ألم ببعض ما افتنت به من روائع القدامى والمحدثين ، وبما أحببت من أعمال رودان . ولم ألبث طويلا حتى رأيت المال الأمريكي يستقدم نسخاً عديدة من أعمال هذا العبقري العظيم ويحشدها بأحد متاحف مدينة سان فرنسسكو ، فكنت أخف لزيارتها من حين لآخر دارسا لها ، مستمتعا بها .

وفي ليلة الميلاد من عام ١٩٢٨ ، أهدى إلي كتاب عنوانه : « الفن » وضعه الكاتب الشهير بول جيزيل في أسلوب محاورة جرت بينه وبين رودان ، يعرض الكاتب مسألة فنية فيندفع الفنان في شرحها وتحليلها وإبداء رأيه فيها . وقد حاول الكاتب والفنان معا أن يجلوا كثيراً من نواحي الفن وأن يقربا فهمه إلى أذهان الكثيرين ممن لا يستطيعون فهمه على حقيقته ، وأن يثقفا به عقول الكثيرين ممن يعنون بقراءة الكتاب ويقدمون لهم غذاء روحيا شهيا لا تنفد لذته ، وعندي أنهما بلغا في ذلك تمام القصد بفضل طلاوة الموضوع الذي يعالجونه من ناحية ، وبفضل الوضوح والنضوج اللذين امتاز بهما الفنان ، والساطة والرشاقة اللتين خص بهما الكاتب من ناحية أخرى ، وإن كتابا يشترك في إخراجه فنان عبقري رقيق ، وكاتب بارع رشيق ، لخليق بأن يلقى من الإنسانية المتمدينة أكبر اهتمام ، وأن يخلد بما فيه على مر الأيام .

وكان من الطبيعي أن يخطر ببالي نقل هذا الكتاب الممتع إلى قراء العربية فأقدم إليهم بذلك نوعا طريفا من التأليف ، وثقافة فنية يحتاجها الفنان وغير الفنان على السواء . قمت بهذا العمل الشاق من زمن طويل ، ثم طرحته جانبا مترددا مرتقبا لظروف غير الظروف إلى أن وقعت عليه عين أستاذي وصديق الزيات فأرادني على نشر بعض فصوله فنزلت على إرادته .

قصة المؤلف

تقع على نهر السين ، قريبا من بلدة ميدون التي لا تبعد كثيراً عن باريس ، قرية ذات اسم جميل هو « ڤال فلبرى » . تكلل هامة التل الصغير المشرف عليها بضعة أبنية تسترعي الأنظار بجمالها وغرابتها . وربما جال في خاطر من رآها أنها ملك لفنان . وحقيقة الأمر أنها ملك « أوجست رودان » الذي اتخذها مقراً له . وإذا ما قاربها المرء وجدها مؤلفة من ثلاثة أبنية رئيسية منعزلة . أما الأول فمنزل صغير ذو سقف عال مائل ، مبني بالآجر والأحجار على طراز لويس الثالث عشر ، وقد اتخذه مسكنا له . وأما الثاني فبناء مستدير يقوم إلى جانب المنزل ، له رحبة فسيحة يدخل إليه بسقيفة ذات عمد هي نفس السقيفة التي أظلت معروضاته التي عرضها عام ١٩٠٠ في معرض خاص أقيم بزاوية من « شارع پونت دي لالما » Pont de l'alma بباريس . وكان من دواعي سروره أن تقام هذه السقيفة مرة أخرى في صدر هذا البناء الذي اتخذه مرسما . وقريبا من هذا وعلى حافة التل المنحدر يقع قصر

(١) أوجست رودان مثال فرنسي عبقري معاصر . له في النحت على المذهب الواقعي روائع أطارت صيته وخلدت ذكره . ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وتوفي بميرون سنة ١٩١٧ .

أو بالحرى واجهة قصر من قصور القرن الثامن عشر بها مدخل ظريف بعلوه إفريز مثلث الشكل يظهر بمثابة إطار لباب من الحديد اللين الزهر . وسيأتى ذكر هذا القصر فيما بعد .

تقع تلك المجموعة المتباينة الصفات . وسط بستان وادع بناحية هى ولا ريب من أجمل وأسحر النواحى التى بأرباض باريس ، جادت عليها الطبيعة بكثير من جمالها ، وزاد من جمالها ذلك المثال الذى نزل بها وسكنها ، فنمقها بكل ما يمكن أن يوحى به ذوقه السليم .

وبينما كنت أسير مع أوجست رودان تحت الأشجار التى تظلل رأيته الفاتنة فى أصيل يوم من أيام مايو من السنة الماضية أفضيت إليه برغبتى فى الكتابة عن آرائه فى الفن وعلى أن يكون ذلك من إملائه فقال لى : « يا لك من إنسان عجيب . لا زلت مهتما بالفن إلى الآن ! ان الاهتمام به لا يتفق والعصر الحاضر . فالفنانون اليوم ، وأولئك الذين يحبون الفنانين أشبه شىء بالحفريات القديمة . تخيل ناشدتك الله مخلوقا من تلك المخلوقات البائدة يدب فى شوارع باريس ، وعند ذلك يتبين لك الأثر الذى ستحدثه بمعاصرينا عندما تكتب عن الفن أو تتكلم فيه . ان عصرنا عصر مهندسين ورجال صناعة ، وليس عصر فنانين . فغاية السعى فى حياتنا الحديثة هى المنفعة ، وينصب جهدنا على تحسين بقائنا المادى . يطالعنا العلم كل يوم بمبتكرات جديدة خاصة بالمأكل والملبس وبوسائل التنقل ويخرج إلينا بسلع رخيصة وضيعة كيما يوفر لجمهرة الناس ما يصبون إليه من كماليات زائفة . ولو أنه مع ذلك أدخل تحسينا عظيما على كل ما يتصل بحاجاتنا اليومية وعت إليها بصلة . ولكن لم تعد المسألة مسألة روح أو فكرة أو أحلام . لقد مات الفن .

الفن هو التأمل . هو لذة العقل الذى يبحث فى أغوار الطبيعة والذى يقدس فيها الروح التى تسود الطبيعة نفسها . هو متاع النهن الذى يستشف الكون والذى يعيد خلقه بنظرة فاحصة صادقة . الفن هو أسمى رسالة للانسان لأنه يعبر عن الفكر الذى يبحث ليهتدى إلى تفهم العالم وليجعل العالم جليا مفهوما .

يعتقد الإنسان اليوم أنه يستطيع الحياة بدون فن . انه يأبى أن يتأمل أو يتيه فى مهامه الفكر أو يسبح فى عالم الخيال . يريد أن يستمتع استمتاعا ماديا ، انه يقنع بإشباع شهواته الجسمانية ، أما سحر الحقيقة وأغوارها فلا يعبأ بها أو يعيرها اهتماما . فإنسان اليوم حيوانى الميول لم يخلق من الطينة التى خلق منها الفنانون .

وفضلا عن ذلك فالفن هو الذوق . هو ما ينعكس من نفس الفنان على كل ما يبتدعه من الأشياء . هو ابتسامة الروح الإنسانية للمنزل والأثاث . وهو جمال الفكرة والشعور مجسما فى كل ما ينفع الإنسان . ولكن كم من معاصرينا يشعر بضرورة شيوع الذوق فى المنزل والأثاث، كان الفن منتشرا بكل مكان فى فرنسا فى أيامها الخوالى . فكان أوساط الناس ، حتى الفلاحون منهم لا يستعملون من الأشياء إلا ما يفرح العين ويسرها . كانت مقاعدهم وموائدهم وصدورهم وقواريرهم جميلة . أما اليوم فقد اختفى الفن من الحياة اليومية ، حتى ليقول بعض الناس ان الجمال لا يشترط توفره فيما هو مفيد من الأشياء ... كل شىء قبيح خال من الرشاقة ، تصنعه آلات غبية فى سرعة وعجلة . أما الفنان فينظر إليه كما لو كان خصيما مناهضا . آه يا عزيزى جيزيل ، أتريد أن تبسط آراء الفنان وأن تبرز أفكاره ؟ ماذا بك ؟ دعنى أتفحصك ! إنك وايم الحق لإنسان عجيب » .

فقلت : « إنى لأعلم أن الفن هو أقل ما نعنى به فى عصرنا هذا ، ولكنى آمل أن يكون هذا الكتاب بمثابة احتجاج على الآراء السائدة الآن ، كما آمل أن يوقظ صوتك معاصرينا وأن يساعدهم على إدراك الجرم الذى يجرمون بفقدهم أجل شطر من تراثنا القومى الا وهو الشغف الشديد بالفن والجمال » . فأجاب رودان « عسى الله أن يسمع منك »

* * *

كنا نسير الهوينا بمحاذاة البناء المستدير الذى اتخذه مرسما . فشاهدت كثيراً من التماثيل القديمة الفاتنة فى حمى السقيفة . فهذا تمثال صغير لعذراء مقنعة بعض الشىء تواجه خطيبا رزينا مشتملا بعباءته . وقريبا من هذين يوجد تمثال لكيوبيد [1] (Cupid) ممتطيا ظهر وحش من وحوش البحر ، ويقوم وسط تلك التماثيل عمودان رشيقان كورينتيان [2] من الرخام الوردى اللون . ويدل احتشاد تلك القطع الثمينة فى ذلك المكان على ولع مضيفى بالفنين الإغريقى والرومانى .

(١) هو إله الحب عند الرومان .
(٢) نسبة إلى كورنث من بلاد الاغريق .

وثمت بجعتان[١] ناعستان على حافة بركة . فما إن مررنا بهما حتى مطتا رقبتيهما الطويلتين المقوستين وأرسلتا فحيحاً مغضبا . ولقد دفعتني وحشيتهما إلى الجهر بأن هذا الطير ينقصه الذكاء . ولكن رودان أجابني ضاحكا : « حسبه ما به من جمال الخطوط ، وفي ذلك الكفاية » .

وبينما كنا نمشي الهوينا بدت هنا وهناك محاريب صغيرة اسطوانية الشكل من الرخام حفرت بها أضافير الأزهار . ويوجد تحت عريشة بديعة يعلوها نبات متسلق نضير الخضرة وتمثال صغير لمثرا[٢] (mithra) بدون رأس وهو يتقرب بثور مقدس . ويوجد عند مفرق طريق معشوشب تمثال إيروس[٣] (Eros) نائما على فروة أسد ، وقد غلب النوم ذلك الذي يروض الوحوش ويتغلبها على أمرها . وعند ذلك سألني رودان قائلا : « ألا ترى أن الخضرة هي أنسب شيء توضع بينه التماثيل القديمة ؟ ألا تستطيع ان تقول عن أروس هذا الصغير الناعس بأنه إله الحديقة ؟ أن لحمه ذا الغينات لشبيه بتلك الأوراق الخضراء في نضارتها وصفائها . لقد أحب فنانو الاغريق الطبيعة حبا جما حتى أن تماثيلهم لتزهو فيها كما تزهو في عناصرها التي قدت منها » .

ولنبحث الآن هذه الفكرة : انا نضع التماثيل في حديقة ، كيما تجمل بها تلك الحديقة . ولكن رودان يضعها بها كيما تكتسب تلك التماثيل جمالا منها . وعنده أن الطبيعة هي أبدا صاحبة الكلمة العليا والكمال الذي لا يحد .

وتقوم عند أصل شجرة من أشجار الاسفندان جرة اغريقية من فخار وردي اللون يغلب على الظن أنها كانت منطرحة بقاع البحر قرونا عدة وقد درست وتشبثت بمسامها بعض الطحالب وغيرها من عرماض البحار الجميلة ، فيخيل لمن يراها أنها أغفلت هناك عن قصد ، ومع ذلك فما كان يمكن أن تعرض لأعيننا بأجمل مما كانت عليه ، لأن ما كان طبيعيا هو غاية الذوق ومنتهاه .

ثم شاهدنا بعد ذلك بدنا لفينوس من غير ما رأس أو أوصال قد أخفى ثدياه بمنديل عقد وراء الظهر فيتبادر إلى ذهن الرائي أن أحداً من متكلفي الحياة يحدوه حياء مصنع — قد آلى على نفسه أن يستر تلك المفاتن .

ولكن من المحقق أن مضيفي لم يشاطر موليير (Moliere) رأيه في هذا الحياء المصنع . لأنه أفصح لي عن سر ذلك قائلا « أنا الذي أخفيت ثدي هذا التمثال لأنه أقل جمالا من بقية أجزاء البدن » وعند ذلك أدار مزلاج باب أدخلني منه إلى شرفة أقام عليها واجهة ذلك القصر الذي ذكرته منذ هنيهة والذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر . تبدو هذه القطعة النبيلة رائعة حقا إذا ما شوهدت عن كثب . انها مدخل على رأس سلم من ثماني درجات ، حفرت على الافريز الذي يعلوه والذي يقوم على عمد تمثال تيميس (Themis) تحيط بها ملائكة الحب . وهناك قال مضيفي : « قديم قام هذا القصر الجميل على منحدر تل مجاور بأيساي (Issy) وكنت كلما مررت به أبديت إعجابي بجماله ، ولكن سرعان ما اشتراه السماسرة وقوضوا بناءه .. » وعند ذلك لاح بعينيه وميض الغضب وقال : « لا تستطيع أن تدرك مقدار الفزع الذي تملكني عند ما شاهدت هذه الجريمة ترتكب . آه يا للفظاعة ! أيهدموا هذا البناء الجميل ؟ لقد أثر ذلك في نفسي كثيراً كما لو كانوا يمثلون بجسم عذراء جميلة على مشهد مني » .

لفظ رودان هذه الكلمات بصوت ملؤه الخشوع العميق ولاريب أن في ذلك ما يشعرك بأن جسم الفتاة الأبيض البض هو أسمى وأروع المخلوقات في نظره . بل هو أعجوبة الأعاجيب ! وصل حديثه قائلا : « سألت أولئك الأوغاد الأنذال أن لا يبدد الأنقاض وأن يبيعونيها فرضوا . ثم أمرت بالأحجار فأحضرت إلى هنا وشددت بعضها إلى بعض على أحسن ما استطعت . ولسوء الحظ لم أرفع إلا حائطا واحداً إلى الآن كما ترى » .

ولتعجله وشدة تلهفه على الاستمتاع بذلك الأثر الفني البديع لم يتبع رودان الطريقة المثلى التي تقضي بأن تقوم حوائط البناء جميعها في وقت معا . وللآن لم يبن إلا جانبا واحداً من القصر وإذا ما قاربت بابه الحديدي ، نظرت من خلاله رأيت أرضا مخطوطة مشقوقة بها قطع من الأحجار تدلك على تصميم البناء المنتظر حقا إنه قصر أحلام بل وقصر فنان ! ثم تمتم مضيفي قائلا « حقا لقد كان بناؤونا القدماء رجالا عظماء لا سيما عندما نقارن

(١) أوزنتا — معجم أسماء الحيوان اسكندر معلوف

(٢) هو إله الشمس عند الفرس .

(٣) هو إله الحب عند الاغريق بل هو أجمل الهيم الذي لا يقاوم وتمثل بغلام جنيت جبل له جناحان .

الحرب والعـــلم

للأستاذ محمود عماد

أصلح المذياع نسمع ما يذاع ... أفلا ننعم حتى بالسماع
إن تلك الحربَ أودتْ بالمتاعْ ... فى مناحى اللسِ منا والبصرْ

ذكروا الصُّلح فقلتُ استعجلوا
أفلم يبقَ لديهمْ منزلُ
يُبتلى أو يبقَ حىٌّ يُقتل ؟ ... إنما الشر بخير والضررْ !

إنّ ستًّا من سنين داميات ... لفناء الأرضِ ليست كافيات
لم تزل فيها بقايا من نباتٍ ... وبقـــايا حيوان وبشرْ

لم تزل فى الأرض بيرانٌ مواحقْ
فى البراكين استقرتْ والصواعقْ
وبأضلاع وأكباد حوانقْ ... مثل سقطِ الزند ترمى بالشررْ

إن يكنْ أعياهمو هَـرْسُ الفرائسْ
لحـــديد لم يُوفرْ للمهـــارسْ
فلديهم بعدُ صلبانُ الكنائسْ ... ومن الأجراسِ شىء مدخرْ

صار ماقد حرّموا للحرب حِلاّ ... لو أرادتْ ضربوا الليلَ فولى

أو رموا بالصبح عنه فتبلىّ ... ثم قدُّوا الشمس أوهدوا القمرْ

كيف ننسى أسْهما جدّ بِطانِ ... من مدار الجِدْى تُلقى فى اتزانِ
فيُلقّاها مدارُ السَّرطانِ ... من تُرى يحملها طول السفرْ ؟

هو جِنّىٌّ له فى الجنّةِ اسمُ ... واسمه العِلمُ فهلْ عندكَ عِلمُ ؟
بُنىَ منه فُقمٌ صُلبٌ وخَتمُ ... لسليمانَ كما تروى السيرْ ؟

لا يجيدُ العِلمُ أن يُحيىَ ميتا ... بينما يبدعُ فى الأحياء موتا
فهو مجنونٌ وإن خِلناه ثَبتا ... وجنونُ العلم مرهوبُ الأثرْ

هو دجالٌ يرينا الضرَّ نفعا ... وإذا أحسنَ وترا ساء شفعا
فاحذروا ياقوم من قدجاء يسعى ... ها هو الدَّجالُ فى الدنيا ظهرْ

إن يقل انىَ سخّرتُ الحديدا ... أو يقل انى أدنيت البعيدا
أو يقل طرتُ وجاوزت الحدودا ... فلويلٍ وثبور وخطـر !

يُتعبُ الجاهل قتلُ اثنينِ غدْراً ... بينما العـالم يُفنى الألف فوزاً
أى هذين إذن أكثرُ شراً ؟ ... لا تقولوا الشّعرُ بالعِلم كفر

لستُ رجعيا إذا كنتُ أصيح ... ارجعوا للناب فالناب مريحُ
ان يكن فى الناب زأرٌ أو فحيح ... يُنجنا منه قليلٌ من حَذَر

ليس يؤذينا لدَى جارٍ شجارُ ... بينما اليـومَ اذا لاحَ شرارُ
عند قطبٍ قالتْ الآخرَ نارُ ... كم لقطب عند قطب من وطر !

بخلفائهم من بنائى اليوم الذين لا يستأهلون شيئا . » قال ذلك ثم قادنى إلى طرف من أطراف الشرفة حيث يظهر له جمال الوجهة بأجلى مظهر وصاح قائلا : « انظر كيف يعترض طيفه السماء الفضية بانسجام عظيم ، وكيف يشرف على الوادى الذى يمتد من تحتنا . » ثم ذهل برهة وانتظم بصرُه المشغوف أثناءها ذلك الأثر القديم وما يترامى حوله من المناظر .

وترامت أبصارنا من المرتفع الذى كنا عليه إلى آفاق بعيدة ، فهناك نهر السين تنعكس على صفحته البلورية سطور طويلة من ظلال أشجار الحور ، يتخذ شكل عروة عظيمة من الفضة عند ما يندفع إلى القنطرة عند سفر Sèvres وتلى ذلك منارة سانت كلو Saint Cloud البيضاء الصاعدة فى الجو أمام تل أخضر . وأما مرتفعات سورسن الزرقاء وجبل فاليريان mt. Valerian فكانت تبدو كأنها ذُرت بهباء من الأحلام . وإلى اليمين من ذلك ترى باريس — باريس الهائلة — تمد مهادها إلى الأفق البعيد وقد نضد بمنازل عديدة تبدو صغيرة على البعد حتى ليخيل للرائى أن فى استطاعته أن يستجمعها بكفه ، باريس التى تبدو لأول وهلة عظيمة سامية كأنها بوتقة هائلة تفور وتجيش بذلك المزيج العجيب من اللذات والآلام ، وبالقوى الزاخرة وبالمثل العليا الموموقة .

محمد مجيب

لا نحبُّ الجهل بل نشتد أمنا ان أتى العلم به بالعلم دنّا
واذا اعتدّ سكين هتفنا امنعوا الجزار عن وادي البقر

ما يحسبي أبني ان رُمت أمرا نلتُه فوراً اذا حركتُ زرّا
فبهذا الزرّ قد أصْهرُ صَهراً ليتَ من أخلص يوما ما عدر!

اسا عن كلّ نفع في عَماء ان يكن من نوع نفع الكهرباء
فالذي يكمنُ فيها من بلاء بعد هذا الجديرُ بالنظر

ان حرب العلم أوحت دون علم أن حرب الجهل كانت شبه سَلْم
والذي اليوم رمى أولَ سهم شرُّ سهمٍ هو في قوس القدَر

عصّبوا الحرب وغطّوا مقلتيها فمشت في الأرض ترعى جانبيها
ليت شعري ما الذي أبقت عليها أيردُّ الجوع عنهم ان حضر؟

انهم قالوا خشينا الموت جوعا نشبّنا الحرب كي نحيا جميعا
أفلم يَلْقوا بها موتا شنيعا؟ لم يشبعها لجوع بل تَطَرْ!

بل هم جاعوا بها لم يشبعوا والذي قد أشبعوه الندفع
ونسورٌ في الصياصي جوّع. حَمِدَ الضيف قراها وشكرْ

اسألوا (الفُهْرُرَ) كمْ (دنزيجَ) أُوتي
واسألوا (الدَّنْشي) أتاهُ كمْ (جُبوتي)
كم (روما) من كراس وبيوت دكّها (كرسي القناة) المنتظر؟

أين يا (دنشي) حصان أبيض فوقه جئت (لمصر) تركض
ما له من بعد جهد يرفض عبر (مصر) وبك البحر عبر؟

رمت تبني ما بنى (اسكندر) فتولى ما بناه (قيصر)
ما الملايين التي تستنفر؟ ألملايين الثمانون صور

قلت: ان قلتُ لجيشي هات (مصرا)
نال (مصرا) ثم نال (الهندَ) قهرا
ألهذا قلت (روما) ثم قرّا و(طرابلس) و(تانا) و(هرر)؟
كم على دمنة قد قمتَ تهزى وتهرُّ السلم فينا أي هرّ
فاحطب اليوم على دودة قزّ وارقب الهرَّ بأوراق شجر!

اهبطْ القيعان من بعد الروابي
واصحب (الفُهْرُرَ) يا خير الصِّحاب
واحطما الناس بسلم مستطاب بعد حرب، ثمن القاع الدرر!

احطما اليوم بآيات كريمه واذكرا الرحمة من بعد الهريمه
أين كانت هذه النفس الرحيمة عندما شارفتما (بحر الخزر)؟

يا شرار الأرض ليس العيش شراً
انّ خيراً أن يكون العيش خيرا
ليست الدنيا لكم الا ممراً كيف يرجى في ممر مستقر؟

ان نور الشمس حقٌّ للجميع فلم اختصّ فريقٌ بالشموع
ليتهم يقضون فيه بالشيوع عندما يُخْدعونه في (المؤتمر)

محمود عمار

ظهر كتاب

الفاروق عمر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمن النسخة ٤٠٠ وبعمائة مليم

وللبريد ٨٣ مليم

الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا — القاهرة

ت ٥١٣٩٤

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

سكر وكحول من النشارة

كم من نشارة الخشب والمواد النباتية نلقى كل يوم ؟ إننا نحاول استغلالها فى إشعال الأفران . فهل نحصل على أكل فائدة منها ؟

تتخلص كل يوم من أطنان من المواد النباتية . وينظر الكيماوى إلى هذه المواد أسفا لأنه لم يتوصل إلى طريقة يستطيع بها إعادة ترتيب عناصرها الأولية فيخرج منها مواد ضرورية للحياة . فهو يعرف أنها تتكون من كربون وإيدروجين وإكسوجين . وبعضها العناصر الأساسية فى السكر والكحول والبترول .

والعقبة الكبرى هى إعادة هذا التكوين بطريقة تجارية تقلل نفقات صنعها حتى تصلح للاستهلاك العادى . وقد تمكن ١٢ عالما أميركيا فى صيف السنة الماضية من تذليل هذه الصعوبة فحولوا نشارة الخشب إلى كحول وسكر . فمن ٥٠٠ رطل من النشارة العادية حصلوا على ٢٥٠ رطلا من السكر فى ٨ ساعات وحولته الأخيرة بدورها إلى ١٢ جالونا ونصفا من الكحول فى ٢٤ ساعة

ومعنى هذا أن الطن من النشارة يتحول إلى نصف طن من السكر أو ٥٠ جالونا من أثيل الكحول . وهو غير المادة الكحولية المعروفة باسم ميثل وهى سامة وتستخرج من الخشب أيضا .

ومن المعروف أن استخراج الكحول من الخشب عملية قديمة . على أن النجاح الذى أحرزه العلماء أخيراً كان استخراجه بنفقات زهيدة ، فلم يتجاوز إنتاج الجالون ٥٠ مليما ، وفى زمن قصير ، إذ تيسر إنتاجه فى ثلث المدة السابقة

وكان هذا الكشف العلمى عاملا قويا ساعد على سد الحاجات العسكرية والمدنية فى الولايات المتحدة التى قدر استهلاكها فى السنة بـ ٦٤٠ مليون جالون ينفذ منها فى صناعة المطاط الصناعى ٣٣٠ مليونا ويوزع الباقى على صناعات المفرقعات والنسج وغيرها ، ولا تنتج هذه البلاد فى الواقع إلا ٥٩٠ مليونا فأتاح لها هذا الاكتشاف تعويض النقص

وتقدر نشارة الخشب التى تتخلص منها المصانع بالحريق بـ ٣٠ مليون طن يكفى أقل من نصفها لإنتاج كل حاجة الولايات المتحدة العسكرية والمدنية

ووضع الفنيون تصميمات مصانع إنتاج الكحول من نشارة الخشب فقدرت نفقات واحد منها بنتج ١٥٠ مليون جالون فى السنة بمبلغ ١٨ مليون جنيه . وقدروا إنه باستهلاك مخلفات النشارة كوقود يختصون تكاليف الإنتاج بنسبة ٢٠ الى ٢٥ ٪

فترة النقه وأسبابها

من أعقد المسائل التى يواجهها الطبيب ومريضه فترة النقاهة فمن جميع أسباب العلة تزول ، ومع ذلك يظل المريض فترة قد تصل الى أسابيع يشعر أثناءها بارتخاء فى أعصابه وعدم قابلية للعمل أو الحركة . فلماذا ينتاب الإنسان هذا الإحساس ؟

لم يستطع أحد حتى الآن تفسير هذه الظاهرة وان كانت تعلل بأسباب مختلفة لم يقتنع بها الطب . ولهذا عكف بعض الأطباء على دراسة هذه الظاهرة دراسة عميقة حتى يوفروا على المرضى كثيراً من سأم دور النقه

ويشرح الدكتور ريتشاردز الحالة بانه عندما يصاب الإنسان بجرح أو مرض فان الضرر لا يؤثر فى العضو المصاب وحده بل يشمل كل أعضاء الجسم ، فيقل تركيز الدم ، ويتأثر الجهاز العصبى ، وتختل نظم التغذية لمدة طويلة لا يعتبر فيها المريض معافى الا ان عادت الى حالتها الطبيعية .

ويبحث الأطباء الآن فى العلاقة بين هذه الظواهر ليتوصلوا الى تقرير ما يجب عمله فى أدوار النقه للمرضى

القهوة وقرح المعدة

أعلن ثلاثة من الاطباء فى اجتماع الجمعية الطبية الاميركية أنه من اليسور معرفة الاشخاص المرضين للاصابة بقرح المعدة بواسطة شرب القهوة . فقد وجدوا أن شراب القهوة يؤثر تأثيراً

ضاراً على شخص من كل عشرة أشخاص من المصابين بالقرح أو المعرضين للاصابة بها .

فإن المعدة تتأثر بشراب القهوة وتفرز حامضاً قوياً غنياً بالببسين، وهذا التأثير سريع الزوال فى الأشخاص العاديين بينما يطول أمده فى الأشخاص المصابين بقرح المعدة أو المعرضين للاصابة بها ، ومن ثم يستطيع الطبيب أن يدرك استعداد الإنسان للاصابة بهذا المرض . وجرب مفعول مخدر القهوة على مجموعة من القطط بحقنه فى عضلاتها فأصيب منها ٤٠ إلى ٥٠ فى المائة بقرح المعدة .

ويعتبر الأطباء من يتناول أربع أو خمس فناجين قهوة فى اليوم من المدمنين . ومن السهل تخفيف أضرارها بإضافة السكر أو الكريمة إليها ، أو بتناولها مع الطعام فان هذه المواد تخفف حدة تأثيرها إلى ٦٠ فى المائة . فاذا اعتبرنا تأثير القهوة التركية السوداء ١٠٠٪ فان تأثير القهوة الفرنساوى يكون ٩٠٪ والشاى ٦٠٪

ويقول أحد الأطباء إن فى القهوة عاملين يؤثران على الإنسان: أحدهما يؤثر على المخ والجهاز العصبى وهو الذى يؤدى إلى حالة الصحو، والآخر يؤثر على خلايا المعدة مباشرة وهو الذى يؤدى إلى حالة قرح المعدة أو يبين استعداد الإنسان للاصابة بها .

أنف بدل المفقود

تقدمت جراحة التجميل خلال هذه الحرب خطوات واسعة فتيسر بها إعادة كثير من الوجوه إلى حالتها الطبيعية . والفضل الأكبر فى هذا التقدم يرجع إلى اكتشاف الأطباء لكثير من المعلومات الهامة عن المخدرات وفن « التبنيج » مما أتاح لهم حرية العمل فى عملية واحدة لمدة أربع سنوات متواصلة مما كان يبدو مستحيلا منذ ٢٥ سنة .

ويتعرض الإنسان فى هذه العمليات إلى عدة مضاعفات مثل نقد الدم وتسمم الجروح وتيسر تعويض دم المصاب بنقله إليه من الخارج ، كما منع اكتشاف البنسلين حوادث التسمم .

وليس معنى هذا أن الطب يستطيع تعديل تقاطيع الوجه كما يعدل المثال فى قطعة من طين ، فلم يوفق جراحو التجميل إلى تركيب أنف أو فك أحسن من الأنف أو الفك الأصليين ، حقيقة إن وفرة المصابين فى القتال أتاحت لهم إجراء عدة عمليات لم تكن معقولة فأعادوا لبعض الجنود أنوفا غير التى فقدوها فى الميدان ولكنها لم تكن فى اتقان الطبيعية

وتستطيع جراحة التجميل بما تستعمل من حيل إعادة الجلد المحروق والمتسلخ إلى طبيعته ، فان كان كثيراً فانها لا تضمن أن تترك فيه أثر المشرط لعدة أسباب ، منها أن شرائح الجلد المأخوذة من أجزاء أخرى من الجسم تختلف فى لونها وسمكها وبنائها عن جلد بشرة الوجه ، فان كان الحرق أو التسلخ عميقاً حتى يتلف أنسجة الأعصاب فمن الصعب إصلاحه

واستطاع أحد العلماء ابتكار آلة دقيقة تقطع شرائح اللحم بأى سمك يطلب منها حتى تتفق مع المكان الذى ستوضع فيه فلا تكون سميكة ولا رفيعة

مواد التلوين والصناعة

المواد الكيماوية المستعملة فى تلوين الأحذية والكتب من المسائل الهامة الآن لحفظها أطول مدة ممكنة ، فكلما احتفظ الجلد بكمية وافرة من الحوامض كلما عاش مدة أطول ، ولكن العكس مطلوب فى صناعة ورق الكتب الثمينة ، إذ يجب أن يحتوى على كمية من القلويات فان الحوامض المبيضة تتلف الورق .

وتتناول الأبحاث الأخيرة فى التلوين عدة صناعات وزراعات من الألبان المحفوظة إلى الزهور . فقد وجد أحد الكيميائيين أن الورد الأحمر وزهر القمح الأزرق يتلون فى الطبيعة بنفس المواد . ومع ذلك فلوناهما مختلفان . ويرجع ذلك إلى أن خلايا الورد تتلب عليها المركبات الحمضية ، بينما خلايا زهور القمح تغلب عليها المركبات القلوية . وبتفاعل المادة الملونة مع أحماض الوردة ينتج اللون الأحمر . أما تفاعل نفس المادة مع قلويات الزهرة فينتج اللون الأزرق .

واستنبطت من هذه النظرية عدة قواعد هامة فى تلوين المنسوجات ، ومنع مواسير المياه من الصدأ ، وفى صناعة حفظ الأغذية فى الأوعية المعدنية .

ونال البسكويت نصيبه من الأبحاث الجديدة ، فوجد أن لونه يسمر إن كانت القلويات كثيرة فى الدقيق ، ويبيض ويصير هشا إن زادت كمية الاحماض فى العجينة

فوزى الشوى

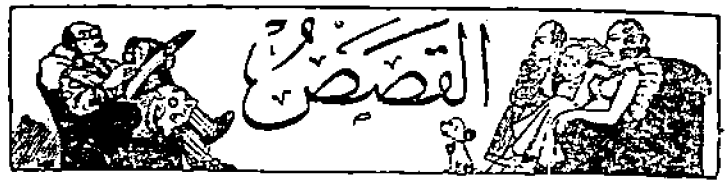

المجنونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب إبراهيم عبد الرحمن خليل

كان السيد ماتيو داندولان والسيد روبرت دي بونيير يتجاذبان الأحاديث عند ما وجه داندولان نظر صديقه الى طيور برية قائلا : تذكرني هذه الطيور ياصديق بحادث مؤلم من حوادث الحرب ... أنت تعرف أملاكي في ضاحية « كورمي » التي أقيم فيها منذ احتلها البروسيون ، وكانت جارتي « جادي » قد اعتراها نوع من الجنون بسبب حوادث مفجعة تتابعت عليها فأثرت فيها تأثيراً عنيفاً ، فقد فقدت المسكينة في شهر واحد أباها وزوجها وابنها الصغير ، وكان حديث الولادة ، وهكذا عند ما يزور الموت منزلا أول مرة ، يعود اليه ثانية كأنه يعرف الطريق ... صرعها الحزن فلزمت الشابة البائسة فراشها وهي تهذي ستة أسابيع كاملة وتوالت عليها أزمات حادة ظلت بعدها خامدة عديمة الحركة ، لا تكاد تتناول شيئاً من الطعام إلا بالجهد الشديد ، لا يتحرك فيها إلا عيناها ، وفي كل مرة حاولوا تغيير موضعها كانت تصرخ بشدة كأنما يراد قتلها ، فتركت نائمة كما شاءت وتوفرت على خدمتها سيدة عجوز طيبة القلب كانت تقدم لها الماء من وقت الى آخر مع قطعة من اللحم البارد تلوكها بين أسنانها ... ما الذي كان يدور بخلدها المشتت ؟ أكانت تحلم بالذين ماتوا ؟ لم يعرف ذلك أبداً ، لأنها لم تتكلم أبداً ، ولأن فكرها المضمحل ، ظل عديم الحركة كالماء الراكد .

ومرت خمسة عشر عاما وهي على تلك الحال ؛ مغلقة النفس ، خامدة الحركة ... جاءت الحرب ، وفي الأيام الأولى من ديسمبر ، تغلغل البروسيون في كورمي .

وكان الجو باردا والثلج يتساقط ، إني أذكر هذا اليوم كأنه الأمس القريب ، وكنت ممدداً على كرسي مستطيل بجوار نافذتي مريضاً بداء المفاصل ، أسمع وقع أقدامهم الثقيلة وخطواتهم الرتيبة ، وأراهم من النافذة صفوفا لا نهاية لها يبدون في حركاتهم المنتظمة كأنهم دمى تتحرك بخيوط مشدودة ، وقد أمر القائد بتوزيع الرجال على سكان القرية فكان نصيبي منهم سبعة عشر رجلا ونصيب جارتي البائسة اثنا عشر رجلا ، ينهم القائد وهو رجل عسكري قديم ، حاد الطبع ، غليظ الخلق . قيل له أثناء إقامته بالمنزل إن ربة الدار سيدة مريضة لم تفارق فراشها منذ خمسة عشر عاما متأثرة بحزن شديد أصابها ولكنه لم يقتنع بهذا ، من غير شك ، فقد توهم أن الذي منعها من استقبالهم إنما هو كبرياؤها واشمئزازها أن ترى البروسيين أو تحادثهم ، فطلب مقابلتها وأدخل إلى غرفتها ، فما إن رآها حتى خاطبها بصوت جاف خشن وبلهجة ركيكة فيها كثير من التحريف ... أرجوك ياسيدتي أن تنهضي من فراشك وأن تنزلي لكي يراك الجميع .... ولكن المرأة المسكينة أدارت نحوه عيونا مبهمة فارغة ولم تجب . فعاد بلهجته الغريبة مرة ثانية .. إذا لم تنهضي بارادتك فسنجد وسيلة لأرغامك على نزهة فريدة .. ولكن المسكينة لم تأت بأي إشارة ، كانت دائماً عديمة الحركة كأنها لا تراه ، فتملكه الغضب ، وظن أن السكوت منها علامة احتقار بالغ له ، فأضاف مهدداً — إذا لم تنزلي ياسيدتي غدا ... ثم أدار وجهه وانصرف .

وفي اليوم التالي ، أرادت خادمتها العجوز الطيبة أن تلبسها ملابسها قبل أن يحضر الضابط ولكن المجنونة صرخت بأعلى صوتها في هياج شديد ، ولم تجد أي محاولة معها . وفي هذه اللحظة صعد الضابط مسرعاً ليرى تنفيذ أوامره ، فخرت الخادم على أقدامه مستعطفة صارخة ، إنها لا تريد يا سيدي ، انها لا تريد ، اصفح عنها ، انها بائسة تعسة .

ظل الجندي القديم ، مشبكا ذراعيه كاظما غيظه ، وفجأة انطلقت منه ضحكة عالية ، وأعطى بالألمانية أمراً إلى رجاله ، ورأى الرجال يحملون المريضة بفراشها كما يحملون جريحاً في الميدان ، ورأى في المؤخرة رجل يحمل حزمة ملابس نسائية .

المجنونة ساكنة هادئة لا تقاوم ، ولا تبالي بالعواقب ،

في عالم الكتب

محمـــد عبده

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

« محمد عبده » يدخل في سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحاً . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل باخراجه في أول السلسلة، كما أحسن الدكتور عثمان أمين في اختيار الشخصية التي يقدمها من أعلام الاسلام .

ومن أولى المسلمين بأن يترجم له في الأعلام مثل الأستاذ الإمام ؟ لقد عنينا على اللجنة إقرارها ترجمة « بشار » و« أبي نواس » ولكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه في رسالته التي ظفر بها بأجازة « الدكتوراه » . ولا يزال الشيخ شغلا لصديقنا المؤلف في الصحف تارة وفي الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الامام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التي قدمها إلى الجامعة ؛ ولعله أوجزفيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبده

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلا تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه في هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

وليس كتاب « محمد عبده » عملا أدبياً يضع صاحبه في

كأنها نائمة نومتها الهادئة في منزلها العتيق . فرك الضابط يديه سروراً قائلا : سنرى جيداً اذا كنت تستطيعين أن تلبسي وحدك ، وأن تقومي بنزهة صغيرة . . الموكب يسير مبتعداً متجهاً الى غابة ايموفي . . . وقد مضت ساعتان عاد الجند بعدها منفردين . . . ولم تعد المجنونة ثانية ... ماذا صنعوا بها ؟ والى أي مكان حملوها ؟ لم يعرف أحد ذلك مطلقاً . الثلج يتساقط ليلا ونهاراً ، وبدا الوادي في نعومة المخمل ، أما الغابة فقد كفنها الجليد بثوب من الزبد الثلج ، والذئاب تعوي حتى أبواب المنازل ، وذكرى هذه المرأة المفقودة لا يفارقني .

قمت بجولات متعددة قريباً من مناطق البروسيين مؤملا الحصول على معلومات عنها ولكني لم أفز بطائل ، فظننت أنهم ربما قتلوها رمياً بالرصاص .

عاد الربيع ، وابتعد الجيش عن القرية ومنزل جارتي المسكينة ظل مغلقاً تنبت الحشائش في أبهائه ، والخادم العجوز في أثناء الشتاء ، ولم يعد أحد يشغل نفسه بهذه الحادثة ، ولكني — أنا نفسي كنت أحلم بها بلا انقطاع .

ما ذا صنعت هذه المرأة ؟ أهربت مخترقة الغابة ؟ أم عثر عليها بعض المارة فأدخلها مستشفى قبل أن يستطيعوا الحصول على معلومات عنها ؟

لم أجد ما يخفف حدة الشك في نفسي ، ولكن الزمن خفف هذا الألم شيئاً فشيئاً . وجاء الخريف ، وتتابعت أسراب الطيور البرية ، واسترحت من مرضي قليلا فاندفعت نحو الغابة للصيد ، وأصبت خمساً أو ستاً من ذوات المنقار الطويل ، وكنت أبحث عن واحدة وقعت في حفرة صغيرة وسط فروع الأشجار ، واضطررت إلى النزول في الحفرة لالتقاطها ، ولكني سقطت على رأس ميتة ، وفي الحال ترددت في صدري ذكرى المرأة المجنونة كأنها لكمة قوية ، لقد كنت متأكداً أني سأقابل هذه البائسة يوماً ما ، وفجأة فهمت ، وفرضت كل شيء ، لقد حملها البروسيون إلى هذه الغابة الباردة وأهملوها ، وتركت المسكينة نفسها الخاوية تموت تحت وطأة البرد ، وزغب الثلج الساقط ، لا تحرك يداً ولا رجلا ، ثم جاءت الذئاب الجائعة فافترستها ، والطيور بنت أعشاشها من صوف فراشها الممزق .

حفظت هذا الحطام الحزين ، وأقمت له النذور ودعوت الله ألا يرى أولادي الحرب أبداً .

إبراهيم عبد الرحمن خليل

مرتبة الأدباء . وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناه . ولكنه عمل عالم مشتغل بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الاسلامية فكان علماً من أعلامها .

ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته فى كتابه ؛ ووجه الخطأ فى قولهم إن « عثمان أمين » استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريده المؤلف أن يكون . فهو يعرض الحوادث ويسوقها فى تسلسل وحسن ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب . وهذا قصارى المؤلف فى تاريخ الرجال . وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له فلا يعنينا بعد ذلك أن نبحث عن « مفاتيح الشخصية » التى يتحدث عنها بعض النقاد فى هذه الأيام ؟

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع « المفاتيح » ويتكلف البحث عنها ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التى يتحدث عنها سهلة التناول واضحة للقارىء لا يجد فيها عناء ولا نصباً ؟؟

الحق أن فكرة « مفاتيح الشخصية » هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب. وإلا فقد قرأنا « محمد عبده » لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى « مفتاح » . وكان المؤلف أفطن من أن يعنينا « بالمفاتيح » التى يقولون عنها فى هذه الأيام !!

ولقد قرأت فى الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lévy وهو من الكتب التى قرظها « François Coppée » فلم أجد فيه « مفاتيح » بل وجدت الكتاب كله مفتوحاً أمامى.. وقرأت فى العربية كتاب « روزفلت » لفؤاد صروف وكتبت عنه فى الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت « محمد عبده »

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالا لأحمد بك أمين ولفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها — « ص ٢٢ » وذكر كلاما لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاما ولم يذكر مصدره — صفحة ١٠٥

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسرداً بأسماء مراجعه

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر العناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثل « ع . ا . باشا » ناظر المعارف — ص ٤٢ ؛ و (ل . بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية — ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضح فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس . ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يُخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ ..

ولقد كان للشيخ محمد عبده رأى فى الأصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى فكان كلام الدكتور فى هذا مقطع الوشائج : ذكره موجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد اليه مقتضباً فى صفحة ١٣٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الاسلامية . ولو عقد فصلا مستقلا فى طريقة الاصلاح عند الامام لوجد الكلام واسعاً موصولا . كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة — الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مصدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعاً لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غلّ قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » .

ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هواديها وتنكمش أعجازها... تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير قيد ، وتنكمش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختم فى غير مختم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضد من أوله .

هـــذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر يثب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل ؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما بدا منها وينبعث منها فى سكونها واضطرابها ؛ فى تألقها ، وانطفائها ؛ فى إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى التغوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا يزال رهنا بما يدعم قوته فى المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمى فى الغرب ، فهى لا تزال محاولات أولية فى اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والغوص إلى مصدر تجاوبها الروحى والنفسى ، واتصال ذلك بنظرتها فى الحياة ودخله فى تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة فى ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها فى المكتبة الغربية ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاقى إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التى تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث تجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع ، أو أن كل مافيه مبرأ من المآخذ التى يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل ترجع قيمته إلى أنه أول بحث فى اللغة العربية على ماأعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقد تناوله ذهن منطق بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ فى هذا الجانب النفسى ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت فى آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات الغريبة ؛ بل هو كمين فى ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما يجود به الأقلام فى هذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التى نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة مايحمل من نظريات لايحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبى ذلك فى تقديم هذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجنى ثمرها ؛ ويهدأ فى ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال فى « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده المفتى لم يُعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدى فى بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أنى أحببته محدثا فى ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً فى الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

محمد عبد الغنى حسن

الشوق العائد

نحت الطبع

ديوان جديد للشاعر على محمود طه